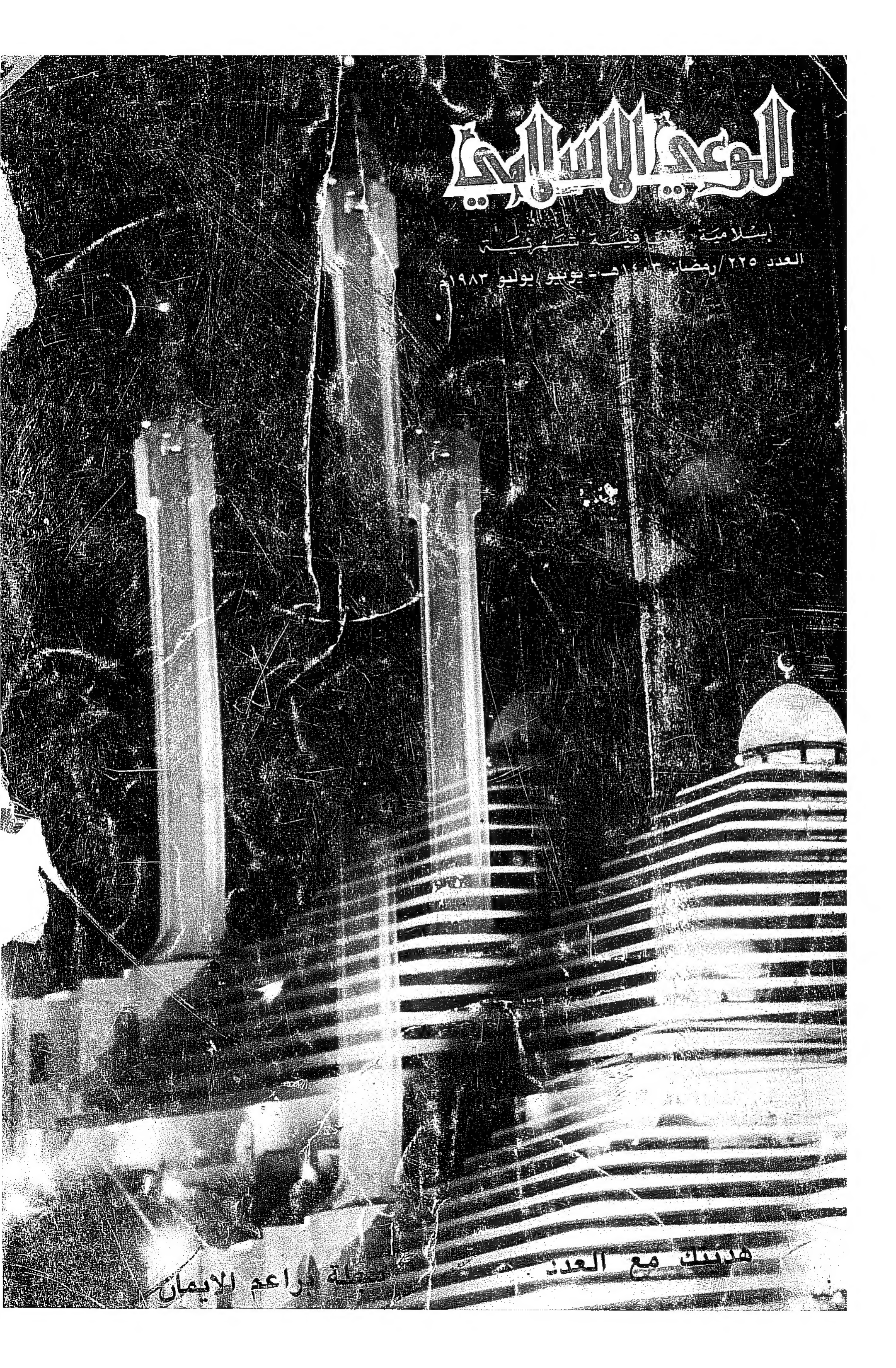
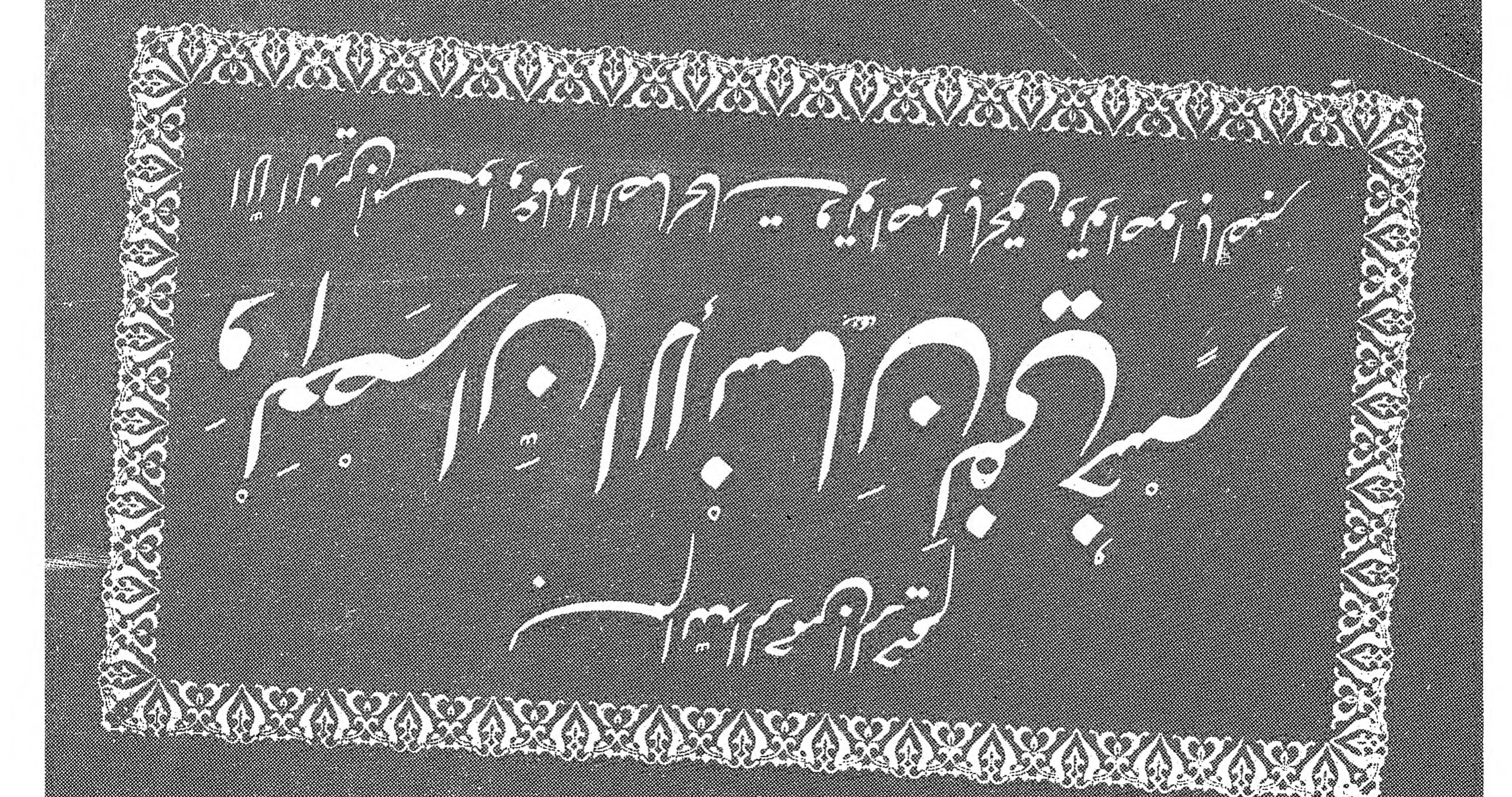

الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٢٥ / رمضان ١٤٠٣هـ - يونيو/يوليو ١٩٨٣م
هديتك مع العدد:
براعم الإيمان





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة التاسعة عشرة

العدد ٢٢٥ ـ رمضان ١٤٠٣ هـ ـ يونيو / يوليو ١٩٨٣ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤-٤٦٦٣٠٠

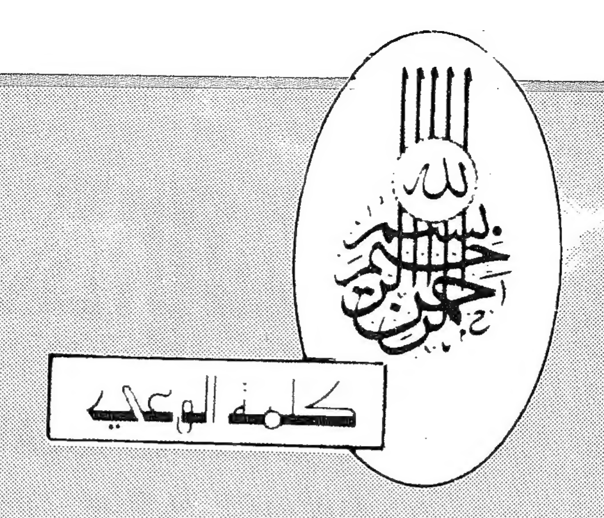
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش.م.ل)
ص.ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 LE

الثمن

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



تيسير الله لفريضة الصيام

الصيام هو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية خالصة لله عز وجل .. ولما كان في أدائه مشقة ومعاناة احتاجت النفوس عند التكليف به إلى أسباب تيسره وتسهل القيام به وتجعله محببا إليها .

فبدأ الله الأمر به بالنداء الحبيب الذي يذكر المؤمنين بالأصل الذي يرتكز عليه وجودهم ، ويسهل عنده كل تكليف يكلفون به مهما عظم ، وتتيسر معه كل مشقة مهما بلغت . ذلك الأصل هو الايمان بالله .

وفي هذا النداء الحبيب بين الله للمؤمنين أن الصوم فريضة قديمة كتبها الله على المؤمنين في كل دين سبق الاسلام وأن الغاية منه تحقيق التقوى وما أعظمها من غاية .

وأن الصوم المفروض ليس تكليف الدهر ولا فريضة العمر ، وإنما هو أيام معدودات ينتهي بانتهائها .

ومع هذا ففرضية الصيام قائمة على الصحيح المقيم ، فالله قد أعفى من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرين حتى يقيموا . تخفيفا وتيسيرا ، على أن يقضي المريض حين يصح ما أفطره حين المرض ، ويقضي المسافر حين يقيم ما أفطره حين السفر .

وقد رخص الله للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة اللذين لا يستطيعان أن يصوما في الفطر مع إطعام مسكين عن كل يوم . ثم حبب إليهما الاكثار من إطعام المساكين عن حد الفدية كأن يطعم المفطر اثنين أو ثلاثة أو أكثر بكل يوم من أيام الفطر في رمضان . فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وبين الله تعالى أن في الصوم خيرا كثيرا ، فهو يزكي النفوس ويطهرها ، وينقيها من الأخلاط الرديئة ، والأخلاق الرذيلة ، ويربي الارادة ويقويها فلا تهزم أمام الشهوات ، ولا تعصف بها الأهواء والنزوات ، وهو يذكر بألم الجوع والعطش فيولد في النفس عاطفة البر والاحسان للفقراء والمساكين ، وذلك بالاضافة الى أثره الكبير في صحة البدن ـ لغير المريض ـ حتى ولو أحس بالجهد « فهو يقي من كثير من الأمراض ، ويعالج عديدا من العلل والأدواء .

تلك التيسيرات الالهية لفريضة الصيام تظهر في قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**)

وهكذا يسر الله فريضة الصيام للمؤمنين ، وجعلها خالية من العسر ، وظهرت رحمته في التكليف وفي الرخصة على حد سواء .

ومن ثم فان النفوس المؤمنة تشعر برحمة الله في تكليفه ، وإرادته اليسر لعباده في جميع ما أمرهم به .

ولما كان القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي أنزله على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليخرج به الناس من ظلمات الشرك ، والخوف والدنس ، والتنازع ، والذلة ، والانحراف عن سنن الحق ، إلى نور الايمان بالله ، والأمن والاطمئنان ، والطهر والنظافة ، والتماسك والوحدة ، والعزة والسيادة ، والاستقامة على أمر الله ، جعل الله الأيام المعدودات التي

فرض صيامها هى أيام الشهر الذي ابتدأ نزوله فيه وهو « شهر رمضان » حتى يكون صيام هذا الشهر من كل عام شكرا لله على هذه النعمة العظيمة، وحمدا لذاته العلية على تلك الهداية التي أضاءت للناس طريق الحق وكشفت لهم المقومات التي تحقق لهم السيادة والمجد، وإشارة إلى أن القرآن الكريم ما نزل إلا لتطبق أحكامه وتنفذ تعاليمه: (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**).

والصائم الذي يقدر وضعه أمام خالقه تحجزه تقواه وخشيته منه عن إبطال ثواب صومه بالمعصية لأنه يعلم أن الله فرض الصيام ليكون أداة لتقوى الله، وليكون له الأثر الواضح في ضمير صاحبه. روى البخاري وأبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » وقد حرم الله على الصائم أن يشتم غيره مبتدئا أو مجاوبا ففي الحديث: « فان شاتمه أحد أو سابه فليقل إني صائم ».

ومن إكرام الله للصائم الحفيظ على صومه أن جعله أقرب الدعاة استجابة كما روى الامام أبو داود الطيالسي في مسنده - باسناده - عن عبد الله ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: « سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « للصائم عند إفطاره دعوة مستجابة » فكان عبد الله بن عمر إذا أفطر دعا أهله وولده ودعا.

وروى ابن ماجه في سننه - باسناده - عن عبد الله بن عمر كذلك قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد ».

وفي مسند الامام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ثلاثة لا ترد دعوتهم: الامام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين ».

ومن ثم جاء الدعاء في أثناء الحديث عن الصيام وذلك قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون).

نسأل الله أن يوفق الأمة المسلمة إلى الاستجابة للحق الذي أنزله الله ليحيوا في الدنيا حياة السعداء، ويكون لهم في الآخرة جزاء الأوفياء.

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للاستاذ / احمد عبدالرحيم السايح

ان الدين الاسلامي هو منهج الله الأمثل ، الذي يستهدف صنع الحياة والوجود على دعائم مكينة من الحق ، والعدل ، والخير ، والفضيلة .. ولقد جاء الاسلام وهو يتغيا هذه الغاية ، ويرمي إليها ، ويقود نحوها منهجا متكاملا ... لم يعرف البشر ، ولن يعرفوا منهجاً أمثل من منهج الاسلام ، وهو يبصر الناس بمكانهم من ربهم ، ومكانة ربهم منهم ... حيث يبين لهم ان الله ربهم وهم عباده .. ومن حق الربوبية إعظامها وإكبارها ومن واجب العبودية ان يعيش المرء في حجمه ، وان يشعر بمكانه ، وان يدرك طبيعته ، فهو مخلوق لربه الخالق . ومخلوق على هذا النحو - لإلهٍ له الجلال والكمال ، والجمال لا بد من أن يشعر نحو ربه بكل الاعظام له ، والخشوع اليه من حيث كونه لذلك أهلا ، لما تميز به الانسان عن سائر الخلق بالمسؤولية والتكليف . وأنه لم ينزل الى هذا الوجود عبثا ، ولا صدفة : (**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون**) المؤمنون ١١٥ وانما خلقه الله وجعل له رسالة ضخمة ، ووظيفة حيوية جاء لها مستعدا ولها مهيأً ...

ولهذا جاء الاسلام يستهدف الناس في منهجية متكاملة يتلاقى فيها الانسان مع ربه ، ونفسه ، وبيئته ، ومجتمعه .. نلمس ذلك جيداً في كل مجالات الاسلام في العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، والسلوك ، وفي علائق الانسان بربه ، ونفسه ، ومجتمعه ... تشهد بهذا جميعا كل أركان الاسلام ، وقواعده من أولها الى آخرها ...

والصيام - وهو أحد هذه الاركان والفرائض التي فرضها الله على المسلمين وأمرهم بها ودعاهم اليها - تتمثل فيه هذه الجوانب ، ويستهدف هذه الأهداف بكل صور القصد ، والاحاطة ، والشمول ، وبجميع الأبعاد والأعماق في طوايا ومظاهر النفس ، والفرد والمجتمع ، والأمة .. يلبي داعيتهم ، ويغطي

حاجتهم ، ويصوغ الحياة والأحياء .. مع بقية قواعد الاسلام وأركانه، ويعيد تشكيلها على أسس من الطهر ، والنقاء والايجابية ، والبناء .. إن للصوم أهدافاً حيوية وغايات عملية ترتبط كلها أيما ارتباط بخواطر الوجدان والشعور ، وجوانب الاخلاق والسلوك ، وتدور جميعها في ذلك المنهج الرباني لبناء النفس ، وتكوين معالمها ، واعداد مقوماتها وصقل امرها لتنهض بأمانة الدين ، وامانة الدنيا .« الدين والحياة » ص ٤ عدد رقم ١٨٥ وزارة الاوقاف المصرية .

والتقوى بطبيعة الحال أول هذه الأهداف واوسعها دائرة وأكثرها حجما وأجزلها عطاء ، وابر ها بأمور الدنيا ، وأوفاها بشئون الآخرة ..

والتقوى الجامعة هي اجتناب كل ما فيه ضرر لأمر الدين والدنيا .. وتقوى الله في مدلولها العام ومفهومها الشامل ، ترجع الى اتقاء الانسان كل ما يضره في نفسه ، وفي اسرته ، وفي مجتمعه ، وما يحول بينه وبين المقاصد الانسانية والكمال الممكن في الدنيا والآخرة .. وما شرعه الله في رسالة الاسلام امرا ونهيا وسيلة لهذا الكمال النفسي ، والكمال الخلقي ، والكمال الفكري ، والكمال السلوكي .

ان التقوى هي العاصم الذي ينبثق من خلال الصوم ، وتنفجر ينابيعه ، وتتعدد معطياته في شمول وعمق ، بحيث تضع النفس والجوارح في مواجهة حقيقية ، واكيدة امام تبعاتها المسئولة وفي اطارها العام ..

إن للصوم كما لسائر العبادات في الاسلام غايات تشريعية أشارت اليها الآية القرآنية في قوله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة /١٨٣** .

واذا كانت التقوى حالة ايمانية . فان لها سمتين بارزتين : الصبر والايجابية . وان كان للصوم اهداف ومنافع للناس ، فهذه الأهداف والمنافع ليست المقصودة أساسا من وراء تشريع الله لفريضة الصيام في أيام معدودات ، وفي خصوصية معينة من شهر بالذات . اذ يمكن ان تتحقق تلكم الأغراض والأهداف في صوم آخر . وغير تلك الأيام المعدودات .... اذن للصوم غاية تشريعية ذات فاعلية في تربية المسلمين على « التقوى » .

(أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) التوبة /١٠٩

ان الاسلام لا يدعونا الى التقوى ، ولا يحضنا عليها إلا وهو يوجهنا الى بواعثها ويقودنا الى روافدها ، ويبصرنا بمواقع استلهامها ، ومواطن الحاجة اليها ، والعمل بها ، كخصلة جامعة تمسك لبنات المجتمع ، وتشد بنيانه ، وتوثق عراه ، وتحيله الى خلايا ايجابية حية ، ومتعاونة لا يقصر فيه المرء عن نجدة ، ولا يضيق بمروءة ولا يتبرم بهتاف ، ولا يطمع في حق ، ولا يفرط في واجب ، انما يعيش في امته تقيا نقيا خالصا صافيا .

فالاسلام الحنيف يدعونا في صيام شهر رمضان ان نمنح التقوى حقها الواجب وقدرها المستطاع ، من الطاقات والقدرات ، في النفوس والضمائر والاخلاق

والسلوك ، وفي شتى انماط الحياة ، وصور التعامل ... نسارع الى التقوى ونستبقها ، ونجعلها زادنا الى الله ، وعدتنا في طريقه . نستلهم منها يقظة الحس ، وحيوية النفس ، وصحوة الضمير ، واستواء الخلق واستقامة السلوك ...

إن تقوى الله تبارك وتعالى حين يحضنا الاسلام عليها ، ويدعونا اليها انما يدعونا إلى الوقاية الذاتية ، والمتابعة الأمينة ، والمحاسبة الدائبة ، والمراجعة الدقيقة لكل ما يصدر عن الانسان « الدين والحياة » عدد ٢٠٢ ص ٤ وزارة الاوقاف .. واذا كانت التقوى « هي الغاية التشريعية التي أشارت اليها الآية الكريمة بقوله تعالى : (**لعلكم تتقون**) واذا كانت التقوى هي حالة تتكون في النفس نتيجة للايمان بالله . **فما دور الصوم في ايجاد هذه الحالة** ؟ ..

ان الصوم هو المعاناة العملية لتوطين النفس ورياضتها على تربية النزعة الايمانية في الفرد والمجتمع . ويتخذ ذلك مظهرين :

أ ـ مظهر الرياضة على الصبر والخشونة في مواجهة الحياة ..

ب ـ مظهر المراجعة العامة ، وكشف الحساب مع النفس في دورة تدريبية أمدها شهر اسلامي « عربي » يتجه الانسان المسلم في هذه الدورة التدريبية الى الله طالبا العون على مواجهة التحديات ، ويتكاشف فيها الانسان مع نفسه ، محاسبا لها قبل ان تحاسب ثم يعود الى ربه تائبا منيبا .. (رسالة الاسلام عدد ١ و ٢ السنة الرابعة ص ٩ العراق) فاذا الضمير يقظ حي ، والنفس شفافة وصافية ، والوجدان دقيق ورقيق ، والشعور حساس ومرهف ، والصدر سليم ونقي ، والقلب طهور وزكي، والخلق سوي ، والسلوك رضي ، والمجتمع كله في قصد واستقامة وسلام وألفة ، وحب وايثار ، ومشاركة وجدانية ، رفيعة ، انها جميعا اشراقات للصوم يصل مداها الى كل بعد ، ويتغلغل اثرها الى كل عمق .

وايمان المسلم بالله سبحانه وتعالى ، وانه يعلم السر منه والعلانية يمثل رقابة ذاتية عملية ، لا يحتاج معها الى رقابة المخلوقين ...

والصائم بسلوكه تتربى عنده المراقبة لله تعالى ، حيث يخلو بالمفطرات ولا رقيب عليه إلا الله تعالى . قال تعالى : (**وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير**) الحديد / ٤

فالله سبحانه وتعالى مع كل شيء ، في كل وقت ، وفي كل مكان . والمعية هنا حقيقة هائلة حين يتمثلها القلب ، حقيقة مذهلة من جانب ، ومؤنسة من جانب آخر . مذهلة بروعة الجلال ، ومؤنسة بظلال القربى ، وهي كفيلة وحدها حين يحسها القلب البشري على حقيقتها . ان ترفعه وتطهره ، وتدعه مشغولا بها عن اعراض الأرض . كما تدعه في حذر دائم مع الحياة والتخرج من كل دنس ومن كل اسفاف . الشهيد سيد قطب « في ظلال القرآن » جزء ٢٧ ص ١٥٨ الطبعة الأولى بمصر .

من اجل الله وحده يدع الصائم طعامه وشرابه وشهواته .... ومع صعوبة هذه المواجهة وكراهة النفس لها . فان الصائم يمضي في ممارسته يبعثه الايمان وتحرسه مراقبته لله ، من ضعف النفس ووساوس الشيطان . حتى تستضيء

النفس بنور الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم فانه لي ، وانا اجزي به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه احد او قاتله فليقل اني صائم اني صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم اطيب من ريح المسك) رواه البخاري واللفظ له ومسلم وفي رواية للبخاري «يترك طعامه وشرابه وشهواته من اجلي ، الصيام لي وانا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها».

ومن هنا نفهم دور النية في الصوم ، وموقفها في هذه الدورة التدريبية حتى تتحقق استضافة الله للصائمين في شهر رمضان . وهي بلا شك استضافة لها خصوصية معينة مرتبطة بعطاء الصوم وتدور قبولا ورفضا مع نية الصائم فكم من صائم مطرود من ضيافة الله ؟ وكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ؟؟ ..

ففي ظل الايمان بالله تعالى وممارسة أوامره ، يجد الانسان نفسه غنيا عن رقابة البشر سعيداً بمراقبة الله ، فيسقط من نفسه التحايل والخداع ، واتخاذهما وسيلة للوصول الى مأرب شخصي ، او مغنم ذاتي . والذي يكون في ضيافة الله يكون قريبا من الله في اعماله وتصوراته ، وعواطفه ، وفي تعامله مع الكون ، وتفاعله مع الحياة ، وتواجده مع الانسان وكلما اوغل المسلم في الصوم ، وأدرك من أنوار الصيام ما أدرك ، وانتفع بالآثار تغلغل في ذاته ، وترسب في وجدانه الاحساس بهذه المعية : (**وهو معكم اينما كنتم**) والوجدان لهذه المراقبة ، كلما نما لديه شعور داخلي فإن هناك في أعماقه سلطة ذاتية بدأت في الوجود ، وباشرت على الفور العمل ، والحكم ، والتنفيذ . فالصائم بغاية الصوم التشريعية (**لعلكم تتقون**) مفوض عام من ربه ، ورقيب عام على نفسه ، وحارس عام على ضميره . ومن هذا المنطلق يعتبر الصوم مدرسة للسلطة الحيوية . يتلقى فيها المؤمن اكبر جرعة تطبيقية وعملية للقيادة ، ويلقن فيها بصورة سلوكية وواقعية أعظم منهج للامارة والادارة .

لقد تخرج في مدرسة الصوم رجال قاوموا في أنفسهم كل شهوة ، وفي مجتمعاتهم كل انحراف ... فسعدت بهم الحياة ، ولقنوها دروسا حية في النقاء والطهر ، ومراقبة الله الكبير المتعال ... هل سمعت نبأ الاعرابي الذي كان يرعى غنما في البادية وصاحبها غائب . فجاء من يريد شراء واحدة . فلم يوافق الأعرابي . فقال المشتري : إن صاحب الغنم غائب . وسأدفع لك الثمن . فيرد عليه الاعرابي الذي تربى في مدرسة الصيام : اذا كان صاحب الغنم غائبا فان الله حاضر لا يغيب ... الدين والحياة العدد ١٨٥ ص ٢٢

فالصوم له أثره البالغ على نفس المؤمن . يقوم بعملية الطهر الذاتي ، والنظافة النفسية ، والنقاء الوجداني ، والصقل الفطري حيث يضبط حركة النفس ، وأعمال الجوارح ومظاهر الخلق والسلوك على ما وقر في القلب من جوهر الحق ،

ومعالم الخير ، وموازين الفضيلة ، ومبادىء الاسلام .

يتعلم المؤمنون في مدرسة الصوم كيف يضبطـون انفسـهم ، ويكبحون جماحهم ، وينظمون غرائزهم ، ويستعلون على شهواتهم ، ويبدلون نزواتهم ، ويعدلون وجهتها نحو الكمال .

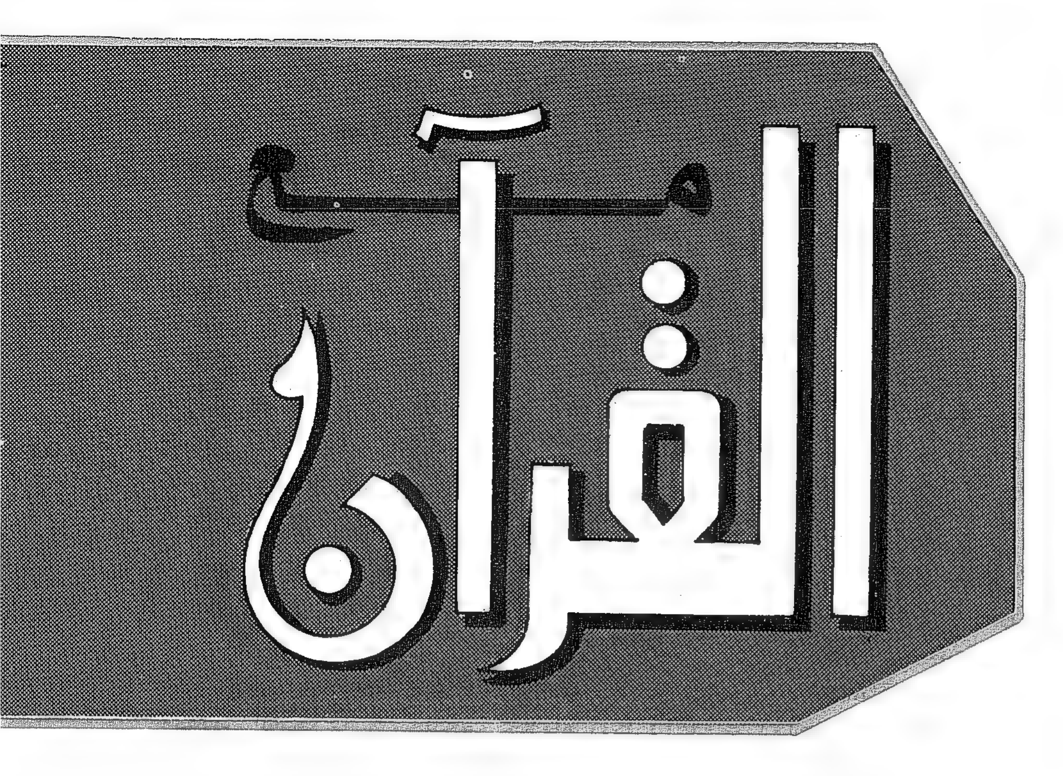
فاذا بالمسلمين على مدى شهر الصيام في نتاج اخلاقي ، وسلوك اسلامي رفيع يأخذ خطا بيانيا صاعدا ، وحداته ألوان للفضيلة وصور موضوعية للحق .

وان الصيام دعوة مفتوحة للمؤمنين كافة ، غنيهم وفقيرهم ، حـاكمهم ومحكومهم ، الى ضيافة الله . ببطاقة اسمها « التقوى » وهذه الدعوة السنوية ان وجدت مناسبتها في رمضان المبارك بوصفه شهر القرآن الا انها ستبقى نافذة المفعول تتجدد بالاستعمال عبر الزمان والمكان لتسحب عطاء هذا الشهر الى أشهر العمر كلها ، تقربا من الله ، ودنوا من رحمته ، واعمالا لنظامه (رسالة الاسلام عدد ١ السنة الثالثة ص ٨ العراق) .

وسوف لا يجد المسلم كالصيام أمرا يفي بكل هذا ، ويعين عليه ، ويساعد على تطهير النفس ، وتنظيف وعائها ، والافادة من عطاء الله في الوحي والكون ، والوصول بالنفس الى غاية التقوى وذروة الخشية ، ثم تحويلها الى صور عملية ونماذج سلوكية يتردد صداها في أرجاء المجتمع ، وتخلف بصماتها على وجهه ، وتعكس آثارها على كل خلية من خلاياه ، وكل داعية من دواعيه والميزان الذي يوزن به الانسان ليكون انسانا على الحقيقة هو الميزان الاسلامي الذي ينحصر في « التقوى » والتي اشبعها القرآن الكريم ذكراوترديدا وتصريفا واشتقاقا . وهذا يعطي حقيقة واضحة وهي ان كلمة التقوى بمفهومها ومدلولها وتصريفاتها واشتقاقاتها ، أمراً ومصدراً ومفعولاً واسم فاعل ومضافة ومفردة وجمعا ، وفعلا واسما قد اشتملت على كل القيم الهادفة لصلاح الانسان .

وثمرات التقوى كثيرة ، وفوائدها في الدنيا والآخرة جليلة . ومن ذلك البشرى والعون ، والنصر ، والعلم ، والحكمة ، واليسر ، والسهولة والخروج من الغم والمحنة، والأمن والاطمئنان ، والرزق الواسع ، والفوز بالمراد ، والنجاة من العذاب ، والتوفيق ومغفرة الذنوب ، والفلاح ، ونيـل الوصـال ، والبشارة بالكرامة ، والصفاء ، وكمال العبودية والأمن من البلية ، وزوال الخوف والحزن ، والتأييد والنصر ، والفرقان والحفظ من كيد الاعداء ، والاجر العظيم الى غير ذلك من النتائج والمسببات .

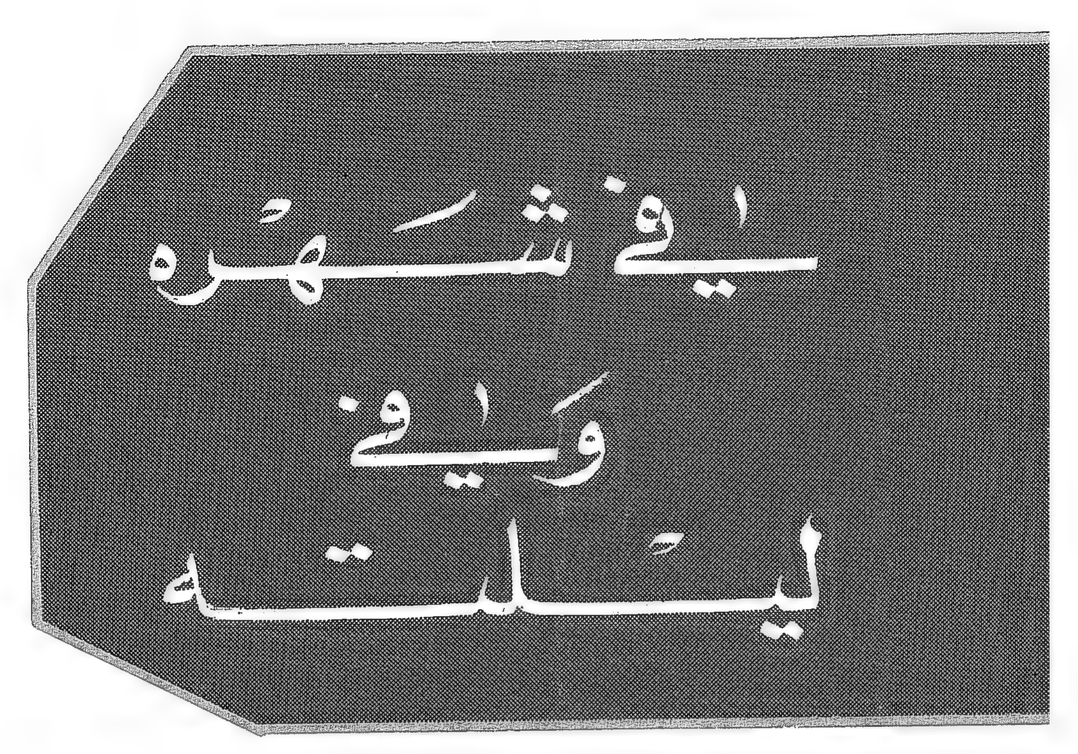
ويوم أن كان المسلمون أتقياء ، وعاملين بتعاليم الاسلام ، لا تفرقهم الاهواء السياسية والأحزاب القومية ، والمذاهب الانسانية ، يومها كانوا قوة لا تضارعها قوة . لقد استطاعوا في سرعة مدهشة ان ينشروا الاسلام في شعوب كانت تائهة في عماء الوثنية والجهل ، كما تمكنوا من رفع الظلم والتسلط والاستعباد الواقع على الشعوب وان الامة الاسلامية تواقة الى وعي القيم الاسلامية التي تمكنت في الماضي من جعل الامة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس ...



القرآن وشهر رمضان وليلة القدر : موضوعات ثلاثة تسلك خيطا واحدا . أو موضوع واحد يتوسط ثلاثة أفرع .. أي ذلك قلت كنت على صواب ، فأينما ذهبت تدير العلاقة بينها فأنت على نحو مما قلنا ، فان قلت ليلة القدر فقد جمعت القرآن الكريم الى الشهر الكريم .. وإن قلت شهر رمضان فقد جمعهما اليه جميعا .. وان قلت القرآن الكريم فقد جمع ليلة القدر الى شهر رمضان .. فوجه الطرافة في هذه العلاقة ، انها دائما ذات وجهين ، فهي موضوعات مستقلة مترابطة .. مجتمعة متفرقة .. تحسبها شتى وهي جميع .. وتحسبها جميعا وهي شتى ... وأوسط الخيط يجمعها الى بعضها .. هو القرآن الكريم .. الذي تجد فيه قول الله تعالى : **(إنا أنزلناه في ليلة القدر)** وتجد فيه قول الله تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** البقرة ، فتجد الدليل قاطعا على أن ليلة القدر هي من ليالي رمضان ... ولهذا .. أنت معي في صحبة مع القرآن ... في شهره ... و ... القرآن ... في ليلته .

القرآن في شهره :

قال تعالى : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** البقرة/ ١٨٥ ولما كان الحق عز وجل هو الذي جعل للشهر



للاستاذ/ محمد فوزي حمزة

الكريم هذه المنزلة الرفيعة وافرده دون غيره بهذا التكريم ، فقد رأينا مناسبا أن نقف هنيهة عند تسميته : « شهر القرآن » ، فانه قد علم ان : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)** هو ذات الشهر الذي أنزلت فيه الكتب السماوية السابقة ، اذ جاء في تفسير القرطبي ص ٨٤ انه : « نزلت صحف ابراهيم اول ليلة رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان . والإنجيل لثلاث عشرة » فلماذا إذن اختص القرآن وحده باطلاق اسمه دون غيره على الشهر الكريم ؟ هذا سؤال فرض نفسه أمامنا في هذه المناسبة ، فقلبناه على أكثر من وجه وكان آخر ما قر عندنا في شأنه ما يأتي :

اولا : إن القرآن هو الكتاب الجامع :

فهو الجامع لكافة الاهداف التي من أجلها أنزل ومن أجلهاانزلت الكتب السابقة وهي الدعوة الى توحيد الله وعبادته وتنزيهه عن منازل خلقه ونوادر ملكه ، وكذلك لتكون شريعة صالحة يتعامل بها الناس فيما بينهم وبين بعضهم وفيما بينهم وبين ربهم تضمن لهم صلاح أحوالهم وحسن معاشهم ، تلك هي المقاصد النبيلة التي أريدت من تنزيل الكتب السماوية كلها ، وآخرها القرآن الكريم الذي جاء جامعا

لأهدافها جميعا ، شاملا لمضمونها جميعا ، متضمنا لحكمتها مصدقا لآياتها ومهيمنا عليها قال تعالى : (**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق**) المائدة/ ٤٨ ، وقال تعالى : (**والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير**) فاطر/ ٣١ وقال (**الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل**) آل عمران/ ٢ و ٣ ففي القرآن الغنى عما في سواه ، وبهذا لم يكن فقط مصدقا لما قبله من الكتب وإنما كان - أيضا - مهيمنا عليها ، ناسخا لها ، مبقيا هديه الذي شمل هديها جميعا .

ثانيا : القرآن وحده هو الذي سلم من التبديل :

أما سواه من الكتب فقد عدت عليها يد البشر بما تناولها به من التبديل والتحريف ، وسنضرب المثل لما نريد مما وقع فالتوراة التي بين أيدينا الآن إن هي الا طبعات حديثة للاسفار التي كتبها أحبار اليهود في أسر « بابل » ، وقد فصل في ذلك كثير من المنظرين وقدموا أدلتهم ، أما التوراة التي أنزلت على موسى فكانت قد نسي أمرها وضاعت الواحها وتلاشت بالجملة الى ان تقدم بعض الكهان الى الملك ودفعوا اليه ببعض الألواح زاعمين انها هي « سفر الشريعة » ، وجده خدام الهيكل بطريق الصدفة ، شهدت بذلك الرواية اليهودية نفسها ، إذ صورت مشهر الملك وهو يتناول هذه الأسفار من كهانه ، وكان ذلك في عهد الملك « يوشيا » ، ويكفيك لكي تعرف المدة ما بين ضياع التوراة من عهد موسى وبين هذه الألواح التي قدمت للملك على زعم أنها « سفر الشريعة » ، ان تعرف ان ذلك كان في الاصحاح الرابع والثلاثين من الكتاب الرابع عشر من العهد القديم ، وان مُلك يوشيا هذا كان بعد وفاة موسى بأكثر من سبع مئات من السنين ، فالتوراة اذن لم تسلم من التبديل ، وقد سجل القرآن الكريم أطرافا من هذا التبديل قال تعالى : (**فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون**) البقرة/ ٥٩ وقال : (**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**) البقرة/ ٧٩ وكالذي حدث للتوراة فقد حدث للكتب الاخرى غير القرآن .

أما القرآن فهو الكتاب الذي أنزله الله وحفظه من الضياع و التبديل وجعل في حكمته أن يحفظه وهو القائل : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر / ٩ . ووفر له من الضمانات ما يضمن لمصحفه المكنون أن : (**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**) فصلت / ٤٢ . وملخص ذلك انه سبحانه أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام وألهمه ان يتخذ حفاظا وكتابا فاتخذهم صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيع من كلام الله وكان أشهرهم عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب ، ثم أقام رب القدرة عنايته ترسل جبريل عليه السلام كل عام

ليراجع عليه النبي القرآن في رمضان ، وفي البخاري : « كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي القرآن » وقد ظل كذلك الى أن قبض .

ثم بعد أن قبض صلى الله عليه وسلم تنبه الراشدون الى ضرورة جمع القرآن ، نبههم الى ذلك أن القتل استحر يوم اليمامة بالحفاظ فتيقنوا من ضرورة جمعه مكتوبا وعهد ابو بكر بذلك الى زيد بن ثابت وقد كان يكتب الوحى من قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال زيد : « فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن .. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال» الخبر بطوله في البخاري ـ فضائل القرآن باب / ٣ ، حتى اذا كانت خلافة عثمان نسخت مما جمع زيد نسخ متعددة وأرسلت الى الأمصار ، فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم : « إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلغتهم » البخاري ـ فضائل القرآن باب ٢ . ففعلوا .

ثم استمر الى اليوم نسخه وطبعه كما هو بكل حروفه وكلماته بل وبالرسم العثماني ذاته ، وتوفرت عليه الهيئات الدينية والعلمية مراجعة ومراقبة لطبعاته وتحصيلا وتدقيقا في آياته وتحليلا وشرحا في علومه ... الخ ، أبعد هذا يضيع القرآن ؟ كلا وألف كلا والله تعالى هو الآخذ على عهدته مهمة حفظه من الضياع أو التبديل ، وهو القائل جل جلاله : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) .

ثالثا : كتاب أنزل للناس كافة :

فالقرآن هو الكتاب المنزل بالرسالة الاسلامية ، والرسالة الاسلامية تميزت على سائر الرسالات بأنها الرسالة العالمية التي انزلت من السماء لتكون هدى ورحمة للعالمين ، فلم تكن هذه الصفة لتتوفر لرسالة من قبلها ، إذ كانت كل رسالة فيما قبل مخصوصة بأهلها ، وكان كل نبي بعث من قبل مخصوصا بقومه ، الا نبي البر صلى الله عليه وسلم أرسله ربه : (**بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**) الفتح / ٢٨ ، وبعثه في كافة أمم الارض ، بل وفي الثقلين جميعا وقد قال تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) الأنبياء / ١٠٧ ، .

فالرسالة التي أنزل معها القرآن لم تكن لشعب دون غيره أو لاقليم دون سواه ، صحيح أنها انزلت في جزيرة العرب وأنزل كتابها بلسانهم على قلب واحد منهم ، ولكنها مع ذلك جاءت لتكون هداية لكل شعوب الأرض أنى وجدوا في اقاليمها ، وأيا عاشوا من أزمانها ... وان بعضا من المستشرقين حاول أن يقصر الرسالة على اقاليم العرب دون سواها معتمدا على موطن الرسالة ولغة كتابها ، فزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في أول أمره يجاهر بأنه مرسل الى

الناس كافة وأنه لم يعلن ذلك الا بعد أن تحقق له النصر على قومه من العرب ، ولكن الذي زعم ذلك كان غافلا عن قوله تعالى : (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) وقوله تعالى : (**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**) الأعراف / ١٥٨ ، وقوله تعالى : (**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**) الفرقان / ١ ، وقوله تعالى : (**إن هو إلا ذكر للعالمين**) ص / ٨٧ ، تلك الآيات التي نقلناها ترد دعواهم وقد كانت جميعها لسوء حظهم من القرآن المكي ، أي قبل أن يتاح للنبي النصر . على خصومه من العرب .

رابعا : القرآن هو الكتاب الخاتم :

أليس كتاب الرسالة الخاتمة ، أنزل على قلب خاتم النبيين ؟ بلى هو كذلك فالرسالة الاسلامية « ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهي أثرها بانتهائه كما كان الشأن في رسالات الانبياء السابقين .. فقد كان كل نبي يبعث لمرحلة زمنية محدودة حتى اذا ما انقضت ، بعث الله نبيا أخر » وقد كانت كثيرة هى الاسباب التي دعت الى تعاقب الأنبياء والرسالات ، منها تعدد الأقوام وتباعد مواقعها على الارض فكان الامر يحتاج الى نبي لكل منهم حتى اذا بعث احدهم في قومه لم يتيسر له نقل دعوته الى قوم آخرين ، ومنها تباعد أزمنة هذه الرسالات ودثور تعاليمها في الناس فكان الامر يحتاج الى إتباعها برسالة أخرى تقيم ما انهدم وتصلح ما اعوج ، وربما كان منها ان كل رسالة كانت تصاغ شريعتها لتوافق عصرها فكان تعاقب الأعصر وتجددها يلجيء الى تتابع الرسالات وتجديدها ، ومنها غير ذلك .. اما الرسالة الاسلامية فهى الرسالة الخالدة التي جعلها الله لتبقى بقاء الدهر الى يوم القيامة ، فهى تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية « فليس بعد الاسلام شريعة ، ولا بعد القرآن كتاب ، ولا بعد محمد نبي ، ولم يسبق لنبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم أن اعلن أن رسالته هى الخاتمة وأن لا نبي بعده ، بل بشرت التوراة بمن ياتي بعد موسى وبشر الإنجيل بمن ياتي بعد عيسى .

وفي هذه المعاني جميعا يقول الامام الشهيد حسن البنا : « إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمان وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة » ، والقرآن كتابها العظيم ، ولهذا كله لم يقر لنا ان نُطلق على الشهر أيا من اسماء الكتب الأخرى ، ولا حتى اسمها جميعا فيقال : « شهر الكتب السماوية » وإنما وجدنا مناسبا أن يقال « شهر القرآن » ، الكتاب الخاتم ، الذي سلم من التبديل منذ أنزل للناس كافة وجاء مصدقا لما أنزل قبله .

خامسا : هو الحق ، المعجز ، البشرى للمسلمين :

قال تعالى : (**وإنه لحق اليقين**) الحاقة / ٥١ ، وهو الذي اعجزت الناس

بلاغته ومنطقه وسمعته الجن فقالوا : (**إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدي إلى الرشد**) الجن / ١ و ٢ . وسمعه بعض العرب ولم يكن مؤمنا فقال : « إن لمنطقه لحلاوة وإن عليه لطلاوة » وهو الذي تكلم عن نفسه معجزا فقال : (**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**) البقرة / ٢٣ ، وكيف يأتون بسورة من مثله وهو الكتاب الذي قيل فيه : (**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**) الاسراء / ٨٨ .

والقرآن هو البشرى للمسلمين ، المفحم للمكذبين ، قال فيه رب العالمين : (**قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين**) النحل / ١٠٢ ، إنه هو القرآن (**وإنه لتذكرةللمتقين**) الحاقة /٤٨ ، أما المكذبون الضالون فقد قال رب العزة : (**وإنا لنعلم أن منكم مكذبين . وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم**) الحاقة / ٤٩ ـ ٥٢ .

الهدى والبينات :

ثم نرى،ونحن بين يدى « شهر القرآن » ، أن نقف عند معنى تنزيله في رمضان ، ومعنى أنه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فاما معنى تنزيله فهو ما سنؤجله حتى نصل الحديث عن « ليلة القرآن » ، واما معنى ان القرآن الكريم هدى للناس وأنه بينات من الهدى والفرقان ، فذلك ما سننقل اطرافا مما قيل شرحا لمعناه ، ثم نبين وجهتنا الخاصة في فهم الآية الكريمة ، ولكن ننبه مسبقا الى أن محور فكرتنا هو ورود لفظ الهدى في الآية مرتين ، وقد يدخل في معنى هذا التكرار أنه يفيد التأكيد ، ولكن لا نظن معناه يقف عند هذا الحد ، وذلك يبين على نحو ما سنرى .

في تفسير ذلك التكرار جاء في تفسير الخازن « ذكر أولا أنه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك ، فكأنه قال هو هدى في نفسه ثم قال هو المبين من الهدى الفارق بين الحق والباطل .. » الى أن قال « إن القرآن هدى للناس على الإجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل ، لأن البينات هى الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام » .

وقال في الفتوحات الالهية ما أفاد أن لفظ الهدى أولا خاص بالأحكام الاعتقادية ، وأن الهدى ثانيا هو في الأحكام الفرعية .

وفي تفسير المنار ما أفاد أن كتب الله كلها هدى ولكنها ليست في بيانها كالقرآن فهو يمتاز على سائر الكتب السماوية بأنه آيات بينات من الهدى الذي توصف به كلها وبينات من الأمر الإلهي الذي يفرق بين الحق والباطل .

وأفاد القرطبي ان عطف « بينات من الهدى » على « هدى للناس » هو من قبيل عطف الجزئيات على الكليات ، وأن الهدى الأول مقصود به القرآن في جملته من محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ ، وأن البينات من الهدى مقصود بها الحلال

والحرام والمواعظ والأحكام .

وقال الطبرى « وأما قوله هدى للناس فانه يعنى رشادا للناس الى سبيل الحق وقصد المنهج ، واما قوله بينات من الهدى فانه يعنى واضحات من الهدى .. » الى أن قال « وقوله الفرقان يعنى الفصل بين الحق والباطل » .

هذا اختصار ما اخترناه لنثبته هنا مما اطلعنا عليه في تفسير هذين اللفظين وما استغنينا عن اثباته اتفق معها في فكرة الفصل بين معنى اللفظ في المرتين ، فهو ليس مجرد تكرار يفيد التأكيد فحسب ، وفكرة الفصل هذه التي اعجبتنا واتفقت فيها وجهتنا مع ما نقلنا من التفسير ، ولكن وقفنا بين كل هذه التفسيرات فلم تبلغ بنا المدى الذى نريده ، والذى نريده هو أن اللفظ في المرة الاولى تقرير بان القرآن هدى وهو تقرير للناس كافة ، أما الإبانة في المرة الثانية عن أنه « بينات من الهدى والفرقان » فهى خطاب للعلماء خاصة واشارة لهم واثارة لملكات البحث فيهم ، ليتدبروا القرآن ويتتبعوا تفاصيل الهدى في آياته البينات ، واذا كان التقرير بأن القرآن « هدى للناس » يغنى في خطاب العامة ، فان العلماء والخاصة اذا ما تلقوا هذه الإشارة التي ذكرنا فلاشك ستتنبه فيهم طبيعة البحث والتحرى التي جبلوا عليها وتدفعهم دفعا الى تمحيص آياته ومدارسة بيناته ليحصلوا منها ما يرضى طبائعهم المحبة للتعلم ، وهذه هى الفكرة التي ارتضيناها أيما رضاء ، لا سيما أنها تنبثق من اعتبار فكرة الدعوة الى التفكير والتعلم والتحصيل ، تلك الدعوة التي عنيت بها الرسالة الاسلامية أيما عناية حتى أن بعض المفكرين ليقول إن العلم فريضة في الاسلام .

والتفسيرات التي سقنا منها اختصارا بعضها ما اقترب من هذا المعنى وبعضها ما لم يهدنا إليه ، والذي اسعفنا بمعنى قريب جدا من ذلك ما ذكر في تفسير الميزان من تفسير لفظ « الناس » قبل تفسير لفظ « الهدى » ، ففسر الناس في الآية على أنهم العامة الذين لا يسعهم إدراك الأمور المعنوية بالحجة والبرهان ، وأما الخاصة المستكملون لناحيتي العلم والعمل ، فالقرآن بينات في حقهم وشواهد من الهدى والفرقان ، ومن ثم فإن وجه المقارنة بين اللفظ أولا واللفظ ثانيا هو ـ حسب الميزان ـ من نوع المقارنة بين العام والخاص والتفرقة بين العامة والعلماء ، فالهدى خطاب لهؤلاء ، والبيانات من الهدى هى الخطاب للآخرين .

مع القرآن في ليلته :

بلغنا الحديث إذن عن ليلة القرآن .. هى ليلة القدر اكتسبت قدرها لما قدر فيها من امور الدنيا وشئون الخلق .. وهذا لا يمنعنا من أن نطلق عليها أيضا « ليلة القرآن » .. أليست ليلة الفرقان التي (**فيها يفرق كل أمر حكيم**) ؟ بلى والفرقان من أسماء القرآن ، قال تعالى : (**انا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين**) الدخان / ٣ ـ ٥ فتلك ليلة القدر كما ذكرت بالوصف ، وقال عز من قائل : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما**

أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر) سورة القدر ، فتلك ليلة القدر كما ذكرت بالاسم والوصف والفضل معا .. تلك آيها ولا نزعم أننا سنخوض في تفسيرها ، فالقدرة على التفسير منزلة رفيعة لا ندعيها ، ولكنا ـ فقط ـ سنبين فيما نريد من الحديث عن « القرآن في ليلته » .

تلك هى الليلة التي أنزل فيها القرآن ، والبيان في هذا جلى فيما أوردنا من آيات ، واذا أردنا الموقف عند معنى تنزيل القرآن في ليلة القدر فليس لنتوسط المعاني اللغوية المترادفة لكلمة (أنزلناه) ... ولا لنتعقب التصريفات المتعددة لمادة (نزل) .. ولكن لنبين ، ما نستريح اليه في هذا المعنى ، وكعادتنا ، سنطالع ما يتاح لنا من التفسير لعلنا يأتينا ما لم نحط به خبرا ، ثم ننتقل بعد ذلك الى وجهتنا الخاصة .

كثير منهم غلبت على تفسيره قواعد الفقه ، كما قال في البخاري : « إن الهاء كناية عن القرآن إنا أنزلناه مخرج الجميع والمنزل هو الله تعالى والعرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع فيكون أثبت وأوكد » البخاري ـ تفسير سورة القدر ، وعلق السندى فقال : « قوله مخرج الجميع فيكون اي خرج مخرج صيغة الجمع وإن كان المنزل هو الله الواحد الأحد تعظيما له ، ليتوسل به الى تحقيق الأمر ، وانه نازل من عظيم لا يكتنه كنهه جل ذكره وثناؤه » .

وقال في التفسير الواضح : « وبعضهم فسر نزول القرآن في شهر رمضان وانه نزل في ليلة القدر المباركة التي هى خير من الف شهر بأن القرآن نزل الى سماء الدنيا في ليلة القدر وليلة القدر في شهر رمضان » التفسير الواضح ج ١ : ص ١٠٠ .

وورد في تفسير القرآن العظيم ما نصه : « قال ابن عباس وغيره انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة » تفسير ابن كثير ٤:٥٢٩

اما في جامع البيان فانه قال « قال الشعبى : المعنى انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر ، وقيل بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا والى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة .. « ثم انتقل الى واسطة تنزيله فحكى طرفا من ملحمة دارت بين ابن عباس وابن العربي قال الاول ـ حسب ما روى عند الماوردى ـ : « نزل القرآن في شهر رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ الى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمه السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة » وقال الثاني : « وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا

بين جبريل ومحمد عليهما السلام واسطة » .

وأما في الكشاف قال ان قوله تعالى (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) « قد عظم القرآن من ثلاثة اوجه احدها : انه اسند إنزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره ، والثاني : انه جاء بضميره دون اسمه شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه ، والثالث : لرفع مقدار الوقت المناسب الذي أنزل فيه ، روى انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة .

واما فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ بعد أن استعرض مادة نزل ومختلف احوالها ومشتقاتها مستخلصا من قوله تعالى : (**إنا أنزلناه**) بضمير الجماعة واسناد الفعل الى رب العزة جل شأنه ـ فإنه يقول : « الذي حدث في ليلة القدر انها ساعة الفصل الاولى من عالم الغيب الى عالم الشهادة الاولى ، انه انزل ليلة القدر وتنزله أيضا الى السماء الدنيا كان ليلة القدر ، ونزل نجوما كل سنة تأتي بها السفرة وتسلمها لجبريل كل ليلة قدر ... » .

ذلك اغلب ما أتيح لنا الاطلاع عليه .. وقد اتفقوا ـ كما نرى ـ في ان القرآن أنزل من السماء في ليلة القدر ، سواء بدأ تنزيل أوائله فيها ثم تتابع نزوله وفقا للمناسبات ، أو أنزل كله فيها الى بعض السماوات ثم تفرق نزوله الى الارض بتفرق اسباب النزول ، المهم ، إننا كنا نطمع أن يتجاوز التفسير ذلك المدى فلا يقف عند المعنى المادي لمادة (نزل) فانه لا يغنينا كثيرا ما يسعف به هذا المعنى ، وان له لمدلولات اخرى لم يشر اليها ما قدمنا من اطراف التفسير وكان اولى ان ينبهوا اليها خصوصا وان القرآن نفسه اشار الى بعضها ودل عليها مجازا بنفس اللفظ ، قال تعالى : (**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**) الحديد / ٢٥ ، والحديد كما نعلم مدفون في الثرى وليس هابطا من السماء ، وانما المعنى الجليل ان المنعم الباري أنعم على خلقه بما اوجد لهم من هذا المعدن النافع ، و « قربه » اليهم وجعله في متناولهم و « هداهم » الى سبيل منافعه ، وكذلك قال تعالى ، وهو يذكر بني اسرائيل بنعمته عليهم : (**وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم**) البقرة / ٥٧ . ومعناه ان الله تعالى ساق اليهم ذلك الرزق واتى به من حيث كان و « قربه » اليهم و « هداهم » الى أكله فاطعمهم من الجوع ونجاهم من الهلاك .

وبذات الوصف أحببنا ان نتجاوز المعنى المادي لهذا اللفظ ، وان نفهم من بين معاني (تنزيل) القرآن (تقريبه) للناس و (هدايتهم) الى سبيله وهو ما استلزم الوحي به الى نبي منهم ليبلغه لهم ويدلهم على سبيل هديه وطريق هداه ، أما قال تبارك وتعالى : (**فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا**) مريم / ٩٧ وقال : (**وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين**) الشعراء / ١٩٢ ـ ١٩٥ .

ثم دعنا نقول إن في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) معنى تنزيل

القرآن ليلا وليس في النهار . وهذه حكمة بالغة استلزمت الا ينزل منهاج الحق في صخب النهار ، الذي تقتضي حركة الحياة والضرب في الارض والسعي على الرزق أن يكون مبصرا ، وإنما في هدوء الليل وسكون الحياة حيث يكون الانسان خاليا بنفسه هادئا متأملا فيكون أقدر على جمع مواهبه عليه دون ان يتوزع بعضها ـ كذهنه أو قلبه أو مشاعره ـ الخ ـ بين هموم الدنيا ومشاغل الرزق .

اي ليلة هي ؟

مر بنا ان ليلة القرآن ذكرت بالوصف في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**) . الآيات ، وبالاسم في قوله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر**) الى هنا ولم يذكر موقعها من شهور العام ، وقد ذكر ضمنا في قوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) ، فهي إذن احدى ليالي رمضان ، لم يختلف على ذلك أحد ولم يقل بغير ذلك أحد ولم يرد بغير ذلك خبر إلا خبر واحد يقول : « عن ذربن حبيب يقول : سألت أبى بن كعب رضى الله عنه فقلت ان اخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر .. ومعناه انه لا يخص بها رمضان وان موقعها من العام يلتبس بين الشهور ، ولكن هذا اللبس سرعان ما يزيله بقية الخبر ذاته ، إذ أجاب أبى بن كعب فقال « ... رحمه الله أراد ألا يتكل الناس ، اما انه قد علم أنها في رمضان وانها في العشر لأواخر .. » ثم ان ابن كعب « .. حلف لا يستثنى انها ليلة سبع وعشرين .. » قال سائله : « فقلت باي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ » قال « بالعلامة أو بالآية التي اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها » الخبر بطوله في صحيح مسلم ـ كتاب الصيام ـ باب فضل ليلة القدر .

فاما انها من رمضان فهذا مفروغ منه ، وما نظن ابن مسعود رضى الله عنه إلا كان يريد أن يدفع الناس الى حسن العبادة طول العام ، اما انها ليلة سبع وعشرين « بالذات » كما قال ابو المنذر وكما « حلف لا يستثنى » ، فهذا ما لم نجد له دليلا قاطعا وان تعارف الناس عليه واما الصحاح في موقعها من رمضان ، فهو ما ورد في الحديث الشريف من أنها في السبع الأواخر أو التسع الأواخر او العشر الأواخر واليك ما ورد في كل ذلك من الحديث :

عن ابن عمر رضى الله عنه ان : « رجالا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » رواه مسلم في صحيحه .

وعن الزهرى بن سالم عن ابيه رضى الله عنه قال : « رأى رجل ان ليلة القدر ليلة سبع وعشرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم في العشر الأواخر فاطلبوا في الوتر منها » رواه مسلم في صحيحه .

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان ناسا منكم قد أروها في السبع

الأو ل وأرى ناسا منكم أنها في السبع الغوابر فالتمسوها في العشر الغوابر » رواه مسلم في صحيحه .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال«تحينوا ليلة القدر في العشر الأواخر أو قال في التسع الأواخر » رواه مسلم في صحيحه .

في احدى هذه الليالي .. ليلة القدر .. إنها ليلة مباركة .. إنها .. « **خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر** » .

هو الفصل :

سقنا الكلام عن « شهر القرآن » و « ليلة القرآن » وبقى ان نتكلم عن القرآن ذاته ، لنقول كما جاء في الخبر انه « هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب منه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الترداد ، ولا تنقضى عجائبه ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم».

ذو الفضل :

ولنقول إن القرآن بجملته درجة واحدة « لا نهائية » من الفضل والمنزلة ، وقد ورد في الخبر ان لبعض السور أفضالا اختصت بها دون غيرها إلا أننا لا نظن معناه أن ما لم يذكر فضله منقوص الفضل أو خال منه ، فما من سورة ـ وما من آية وما من حرف الا كانت من الله فضلا علينا عظيما ، ومع ذلك لا يسعنا الا ان نورد السور التي ذكر فضلها وما ذكر منه .

فعن فاتحة الكتاب ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أعظم سورة من القرآن : « قال الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته » البخاري فضائل القرآن باب ٩ ، وفي سورة الكهف ورد أن رجلا كان يقرؤها فشهد أحوالا ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « تلك السكينة تنزلت بالقرآن » رواه البخاري ، وورد « انما الآيتان من آخر البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه » رواه البخاري ، وعن فضل آية الكرسي وهى من البقرة ايضا « اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال معك غير الله حافظا ولا يقربك شيطان » البخاري فضائل القرآن باب ١٠ . وقيل قل هو الله احد « تعدل ثلث القرآن » رواه البخاري وقيل « تعدل ثلث القرآن أو تعدله » رواه الدارمى وسيرد قوله صلى الله عليه وسلم«إنها مجلبة للمغفرة » وأن « قل يا أيها الكافرون » براءة من الشرك ،

وورد في المعوذات أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات » رواه البخاري ويقول « لقدانزلت على آيات لم ار مثلهن » رواه الدرامي ، قال صلى الله عليه وسلم لعقبة « يا عقبة انك لن تقرأ من القرآن سورة احب الي الله ولا ابلغ عنده من قل أعوذ برب الفلق » رواه الدارمى وإنها « ما سأل سائل ولا استعاذ مستعيذ بمثلها » رواه الدارمى .

العرائس :

اما « الحواميم » فكن يسمين « العرائس » الدارمى ، واما ثلاث آيات من آخر الحشر فمن قرأها اذا أصبح أو أمسى « طبع بطابع الشهداء » الدارمى ،واما المسبحات فكان صلى الله عليه وسلم يقرؤهن عند النوم ويقول « إن فيهن آية تعدل ألف آية » رواه الدارمى .

وعن الحسن : « من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البيهقى وإن من قرأها في صدر النهار « قضيت حوائجه » رواه الدارمى ، وإن من قرأها حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسى » ومن قرأها في صدر ليلته أعطى يسرليلته حتى يصبح » رواه الدارمى وقال كعب « من قرأ تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك كتب له سبعون درجة وحط عنه سبعون سيئة ورفع له بها سبعون درجة » رواه الدارمى كما ذكر عن السجدة وتبارك ايضا أن قراءتهماوجاء من عذاب القبر ، وان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأهما » رواه الدارمى .

صاحب القرآن :

وقيل لا يحسد المرء الا على اثنين : القرآن والزكاة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم « لاحسد الا على اثنتين ... رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل ورجل آتاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار » رواه البخاري وقد حق لمن علمه الله القرآن فقام على تلاوته بالليل أن يغتبط فانه إذا سمعه جاره قال « ياليتني أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل » رواه البخاري . إن القرآن لنعمة من الله ومن ذا الذي لا يتمنى أن يتم الله عليه نعمة القرآن ؟ ، أليس « مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب » ؟ رواه البخاري .

معلم القرآن :

ومن باب الحض على قراءة القرآن وتعلمه جعل الفضل متزايدا كلما زاد المرء في قراءته زاد فضله ، والأخبار كثيرة والأحاديث في فضل من قرأ آية واثنتين وعشرا ومائة والفا .. الخ اما قارىء القرآن فانه يقال له « بعد موته » : « اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » رواه

الدارمى .

وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وقد كان من اصحابه من تعلمه حتى علم لكل آية موضع نزولها وسببه ، فعن مسروق « قال عبدالله رضى الله عنه والله الذي لا اله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله الا انا أعلم أين أنزلت وما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم احداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت اليه » رواه البخاري ، وكان عبدالله بن عباس قد أتم تعلم القرآن وحفظه ولم يجاوز عشر سنين رواه البخاري ، الا ان تعلم القرآن وحفظه يستلزم معاودة قراءته كلما أتمه المرء قراءة أعاده ، وقد قيل في الأثر : « دوام العلم مذاكرته » وقال صلى الله عليه وسلم : « استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » رواه البخاري وقال « تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من صدور الرجال من الإبل في عقلها » رواه البخاري وقال«انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت » رواه البخاري .

ختم القرآن :

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتفل أحدهم كلما ختم القرآن وقيل إن الإمام أنس بن مالك كان اذا اشفى على ختم القرآن بالليل ابقى منه شيئا حتى يصبح فيجمع اهله فيختمه معهم ويدعو لهم فان الدعاء يستجاب عند ختم القرآن ، ولا غرو ان يفرح المرء اذا ختم القرآن فقد قال بعض العلماء « اذا ختم الرجل القرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى واذا فرغ منه ليلا صلت عليه الملائكة حتى يصبح » .

حسن الصوت يزيده حسنا :

ومهما تعلم الرجل القرآن ومهما حفظه فانهلن يزال يحب أن يسمعه من غيره ، كأنما هو يحب ان يبلغ به مجددا وقد كان صلى الله عليه وسلم يطلب الى بعض أصحابه ان يقرأ عليه القرآن فيقولون . « أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ » فيقول : « إني احب أن أسمعه من غيري » رواه البخاري وقرأ بعضهم عليه فقرأ النساء حتى اذا بلغ «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » بكى النبي صلى الله عليه وسلم من التأثر وقال له كف « او قال أمسك » رواه البخاري .

ولهذا عرفنا النبي صلى الله عليه وسلم يحث القراء على اجادة القراءة حتى لا يخطئوا فيها ولا يلحنوا ولا يبدلوا وان يحسنوا نطق الحروف ، ولا نقول ان القرآن جائز تلحينه والانشاد به كبعض الوان الطرب ، الا انه لا جناح من تحسين الصوت عند قراءة القرآن ، وقد فسر حديث التغني بالقرآن على انه « الجهر به » ،

وفسر على انه « الاستغناء به عن كل شيء » ، وعلى كل حال من غير أن يفهم أننا نخلط في الفهم بين تحسين الصوت عند القراءة وبين الصدح والغناء ، فاننا نورد من الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن باصواتكم » رواه الدارمى وفي رواية « حسنوا القرآن باصواتكم فان حسن الصوت يزيد القرآن حسنا » رواه الدارمى وقد كان صلى الله عليه وسلم في قراءته « يمد مدا » رواه البخارى وينهى عن هذ القرآن كهذ الشعر ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « أهذا كهذ الشعر » رواه البخاري . أي ينهى عن العجلة في قراءته ، وكان اذا استمع الى من قرأ القرآن بصوت حسن يقول : « لقد أوتى هذا من مزامير داوود » رواه الدارمى .

طرائف حول الموضوع

مهر عروس :

في الخبر ان امرأة وهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسها ولم يكن له حاجة بها فقام رجل فقال: «يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها . فقال له هل عندك من شيء ؟ فقال لا والله يا رسول الله . قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا ؟ فذهب ثم رجع قال لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئا . قال انظر ولو خاتما من حديد . فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازارى (قال سهل بن سعد ـ وكان حاضرا ـ ما له رداء) فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصنع بإزارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك شيء . فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فدعى ، فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معي سورة كذا وسورة كذا ، عدها ، فقال أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم . قال اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » رواه البخاري .

الحال المرتحل :

عن قتادة عن زرارة بن أبي أوفي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل ؟ قال : الحال المرتحل . قيل : وما الحال المرتحل ؟ قال : « صاحب القرآن يضرب من أول القرآن الى آخره ومن آخره الى أوله كلما حل ارتحل » رواه الدارمى .

عرفاء أهل الجنة :

قال بعضهم ان من شهد القرآن حين يفتح فكأنما شهد فتحا في سبيل الله ومن شهد ختمه حين يختم فكأنما شهد الغنائم حين تقسم ، وان من قرأ القرآن عن

ظهر قلبه كانت له دعوة في الدنيا والآخرة ، ومن قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك ، وقال عطاء بن يسار : « حملة القرآن عرفاء أهل الجنة » رواه الدارمى .

المارقون من الدين :

قال صلى الله عليه وسلم « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم؛ القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئا وينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتمادى في الفوق » رواه البخاري .

براءة من الشرك :

في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ (**قل يا أيها الكافرون**) فقال : « برىء من الشرك » . وسمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) فقال : « غفر له » . وسأله رجل ما يقول عند منامه قال صلى الله عليه وسلم « فاذا اخذت الى مضجعك فاقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك » رواه الدارمى .

الظلة فيها المصابيح :

كان أسيد بن خضير يقرأ القرآن ذات ليلة فرفع بصره الى السماء فرأى منظرا عجبا لم ير مثله من قبل : فحكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعبر عن ذلك بقوله « مثل الظلة فيها المصابيح فخرجت حتى لا أراها » أي خرجت أنظر اليها حتى توارت ولم أعد أراها . فقال صلى الله عليه وسلم : أوتدري ماذاك ؟ قال لا قال :« تلك الملائكة دنت لصوتك » رواه البخاري .

طوبى لأمة ينزل عليها هذا :

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى قرأ « طه ـ ويس » قبل أن يخلق السماوات والأرض بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » رواه الدارمى .

وصية رسول الله :

أمر المسلمون بالوصية، واراد رجل أن يعرف بماذا أوصى رسول الله : « وكان صلى الله عليه وسلم قد لقى ربه » فأجيب الرجل بانه لم يوص فأغرب وقال كيف لم يوص وقد أمر المسلمون بالوصية ؟ فقيل له : أوصي بكتاب الله » رواه البخاري .



للواء الركن محمد جمال الدين محفوظ

الارادة القتالية والانضباط من أهم الصفات التي تعنى الأمم بغرسها وتنميتها في مقاتليها ، فقد أجمع رجال العسكرية على أن الحرب في حقيقتها « صراع إرادات » وعلى أن النصر فيها يكتب للجانب الذي يتفوق على خصمه في « إرادة القتال » .. إن المقاتل ـ من وجهة نظر علم النفس العسكري ـ يتعرض في المعركة ، وحتى قبل أن تبدأ ، للتوتر العصبي وعوامل الخوف ، كالخوف من الإصابة أو الحصار أو الوقوع في الأسر ، والخوف من الموت ، كما يتعرض أيضا لحالات التعب والإرهاق وقلة النوم ، ولحالات الملل والضجر ، وللصراع النفسي

بسبب الدوافع المتعارضة مثل دافع أداء الواجب ، ودافع حب البقاء ، الأول يدعوه للتقدم ، والثاني يدعوه الى التخاذل .

● **فالارادة القتالية القوية هي السبيل الأول الذي يمكّن المقاتل من قهر هذه العوامل والتغلب على هذه الضغوط التي لو استجاب لها لأضعفت من قدرته وكفاءته القتالية ، ولضاعت منه فرصة الانتصار على عدوه .**

يقول الجنرال فولر ـ مستندا الى تجارب الحروب وبخاصة الحرب العالمية الأولى والثانية « ان الخوف يمسك بتلابيب نصف الرجال الذين يتقدمون في أثناء الهجوم ، ويصيب النصف الثاني بالشلل » .. وقد نشرت عدة أبحاث عن تجارب الحروب وخاصة ما يتعلق « بعلم نفس المعركة » ، كشفت عن أن نسبة كبيرة من المقاتلين بلغت نصف قوة الجيش أحيانا ، لم تطلق طلقة واحدة من بنادقها في المعركة ! ؟

● أما الانضباط فهو الذي يقوم على الطاعة ، وعلى تنفيذ الأوامر على أكمل وجه ، وكل الجيوش تعنى أشد العناية بتنميته في المقاتلين على مرحلتين :

الأولى : تنمية الانضباط في « عقل » الجندي ، وذلك بأن يفهم مثلا فلسفة الطاعة ومغزاها وأهميتها في بناء الجيش وفي إحراز النصر في الحرب .

والثانية : تنمية الانضباط عن طريق « التدريب » العملي ، وفي هذا يقول علماء النفس : « إن الطاعة لكي تصبح عادة لدى الفرد ، فلابد من ممارستها عمليا بكثرة عن طريق التكرار والتدريب ، وبذلك تتولد عادة الطاعة ، وتصبح من الأمور الغريزية مع تقدم التدريب واستمراره » .

ووسيلة الجيوش لتنمية الانضباط عن طريق التدريب تتمثل في « طوابير » التدريب العسكري اليومية التي يمارس الجنود فيها الوقوف بنظام والسير بنظام ، وتتمثل كذلك في إخضاع حياة الجندي اليومية لبرنامج عمل منظم يقوم فيه بألوان متعددة من العمل بشكل محدد وفي أوقات محددة ، وبذلك يصبح الانضباط عادة وسجية ..

عناية الاسلام أشمل وأعمق :

وإذا كانت الأمم تعنى بتنمية الارادة القتالية والانضباط في نفوس أبنائها عند التحاقهم بالخدمة العسكرية ، **فان الاسلام لا ينتظر حتى يشب الفتى فيدخل الجيش ثم يبدأ في غرس تلك الصفات فيه ، ولكنه يبدأ في غرسها في المسلم منذ طفولته ، أي في مرحلة تنشئته وبناء شخصيته ، حتى تكون تلك الصفات جزءا لا يتجزأ من وجدانه وتكوينه النفسي والاجتماعي .**

لقد سبقت حكمة الله جل شأنه أن تكون الأمة الاسلامية قوية الشوكة عزيزة الجانب ، فجاء منهج الاسلام في التربية السلوكية شاملا لكل ما من شأنه بناء شخصية المسلم ليجعل منه لبنة قوية متماسكة ، وعنصرا

إيجابيا صالحا في مجتمعه الكبير ، ومقاتلا لا يقهر في الحرب دفاعا عن دينه وشرفه ووطنه ، كما رسم الاسلام الطريق الصحيح لبناء المجتمع الانساني الفاضل الذي يهيىء المناخ الصالح للتنشئة السليمة والتربية القويمة ، كما يهيىء للمسلم الفرص التي تتيح له إظهار طاقاته المدخرة فيه .

● **والصوم من بين العبادات التي تنطوي على تدريب المسلم عمليا على قوة الارادة ، التي تكبح جماح النفس وتفطمها عن شهواتها وتسمو بها عن العبودية لمألوفها وعاداتها ، وذلك هو الأساس للارادة القتالية .. فالمجاهد في ميدان القتال ، لا ينتصر فيه ، إلا إذا أتم الانتصار في ميدان نفسه ، فلا ينتصر على عدوه الذي يحمل السيف ، حتى ينتصر على نفسه التي بين جنبيه،وحتى تكون كل أهوائه وشهواته خاضعة لأمر الله ونهيه .**

● وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر ، فقد روى أنه قال بعد رجوعه من إحدى الغزوات : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » .. فالمسلم المجاهد ، يخضع أهواءه وشهواته لأحكام الله تعالى ، ويجعل هواه تبعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله تعالى به ، وهوما يفهم من قول النبي : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » . والمرء حين يكون عالي الهمة قوى الارادة ، يستطيع أن يوجه حياته التوجيه الكريم الذي يسمو بآدميته ، ويحلّه في المكان الأسمى الذي أراده الله له وكان به سيد الوجود من حوله .

وإذا كانت الجيوش تستدعى قواتها الاحتياطية لفترة محددة كل عام لكى تحيي في رجالها الصفات الحربية ، فان الصوم دورة تدريبية سنوية ، ومدرسة دائمة لتربية الارادة القويةوالانضباط .

الانضباط الاسلامي :

ومنهج الاسلام في غرس الانضباط وتنميته في الشخصية الاسلامية ، يجمع بين « الأساس العقلي » و « التدريب العملي » :

○ **فهو يبين فلسفة الطاعة ومغزاها الاجتماعي ويربطها بالعقيدة والايمان ، ويجعل طاعة القائد في منزلة سامية ، فيضعها في الترتيب بعد طاعة الله وطاعة رسوله : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (النساء ٥٩) .**

● وهو لا يكتفى ببناء الانضباط على هذا الأساس العقلي العميق ، بل يعنى أيضا « بالتدريب العملي » على الانضباط ، لذلك نرى الاسلام يعنى بالتربية السلوكية في عباداته لكي يغرس في الفرد عادات الانضباط والسلوك السليم وينميها حتى تصبح جزءاً من كيانه لا يتخلى عنها أمام أي ظرف من الظروف .

فالصلاة لا يمنع من أدائها مرض أو دخول في معركة ، لأنها ذكر لله ، وقد أمرنا أن

نذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبنا ، فاذا نادى المؤذن « حي على الصلاة » لبى المسلمون دون حاجة إلى من يرغمهم لأنها صارت عادة .. وفي أثناء الصلاة يتعلم المسلمون تسوية الصفوف » حيث جُعلت من تمام الصلاة ، ويتقدم الإمام صفوف المصلين ، ولا دخول في الصلاة إلا بدخوله ، ولا ركوع إلا بركوعه ولا سجود إلا بسجوده ، ولا سلام إلا بسلامه ، وإلا بطلت صلاتهم .. ويتكرر هذا المظهر كل يوم خمس مرات ، وفي كل مرة يتأكد الشعور بالانضباط النابع من داخل الذات وليس من خارجها ..

● **والصيام والامساك في رمضان عن المشتهيات ، وضبط النفس عن متطلباتها والصمود أمام هذه المتطلبات بحزم وعزم وإصرار من فجر كل يوم إلى غروب شمسه ، ومن أول يوم في رمضان إلى آخر يوم فيه .. إنه تدريب على الانضباط وامتحان قاس لعزيمة الانسان وقوة إرادته ومبلغ استعداده للصمود والتضحية من أجل عقيدته ومبادئه وأهدافه العليا وغاياته السامية .. فاذا ما أذن المؤذن معلنا بزوغ الفجر ، امتنع المسلمون عن طعامهم وشرابهم « ذاتيا » لأن قلوبهم وعقولهم قد ذاقت حلاوة الايمان ، فدفعتهم الى المسارعة في تنفيذ اوامر الله ... ثم يأكل الجميع وقت النداء بأن الشمس قد غابت وحان موعد الافطار ، وهكذا يكون الصيام بأمر واحد ، في وقت واحد ، ونهاية واحدة .**

● وفي الزكاة طاعة لله باخراج الجزء الواجب اخراجه بلا رقابة من أحد وبالقدر المحدد ، وفي الحج يقف المسلمون جميعا دون مخالفة في مكان واحد هو جبل عرفات ، وبدونه لا يكون حجا ، فالجميع في زي واحد ، وفي وقت واحد وتلبية واحدة هى هتاف واحد الهي رائع : « لبيك اللهم لبيك » .

تربية الضمير الديني :

والأمر الجدير بالتأمل أن منهج الاسلام في بناء الانضباط يقوم على مبدأ الحرية والكرامة الانسانية وتحرير شخصية المسلم من العبودية لغير الله تعالى في كل الميادين وعلى تربية الضمير الديني ومراقبة الله عز وجل وخشيته ، فيكون دائما على ذكر من ربه الذي يعلم أنه معه حيث وجد : « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » غافر / ١٩ .

والرسول صلى الله عليه وسلم يصور لنا ذلك في العبادة بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » (رواه البخاري) .

ومن أهم ما يلاحظ في منهج الاسلام في تربية هذا الوازع الديني والخلقي أنه لم يجعل نتيجة الخوف من الله « أمرا سلبيا » وهو النجاة من العقوبة وعدم التعرض للعذاب ، بل جعل للخوف فوق النجاة والسلامة « جزاء ايجابيا » هو الثواب الجزيل والأجر العظيم وذلك ما يفهم من قوله تعالى : « **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى** » (النازعات ٤٠ ـ ٤١) ..

« ولمن خاف مقام ربه جنتان » (الرحمن ٤٦) .. « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير » (الملك ١٢) .

أرفع أنواع الانضباط :

والمدهش أن هذا النوع الرفيع من الانضباط ، والذي جاء به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا ، لم يتنبه رجال العسكرية إلى قيمته وحيويته إلا في العصر الحديث ، فأصبحوا ينادون بأن المطلوب في عصرنا هو « الانضباط الذاتي » !!

والسر في ذلك أن الجيوش قديما كانت تحارب في صفوف متراصة ، فكانت شخصية المقاتل « تذوب » في الجماعة التي تجرفه معها وتسنده وتحجب نقط الضعف التي فيه ، تحت تأثير أن الجماعة تنظر إليه وترقبه ، وإحساسه المعنوي

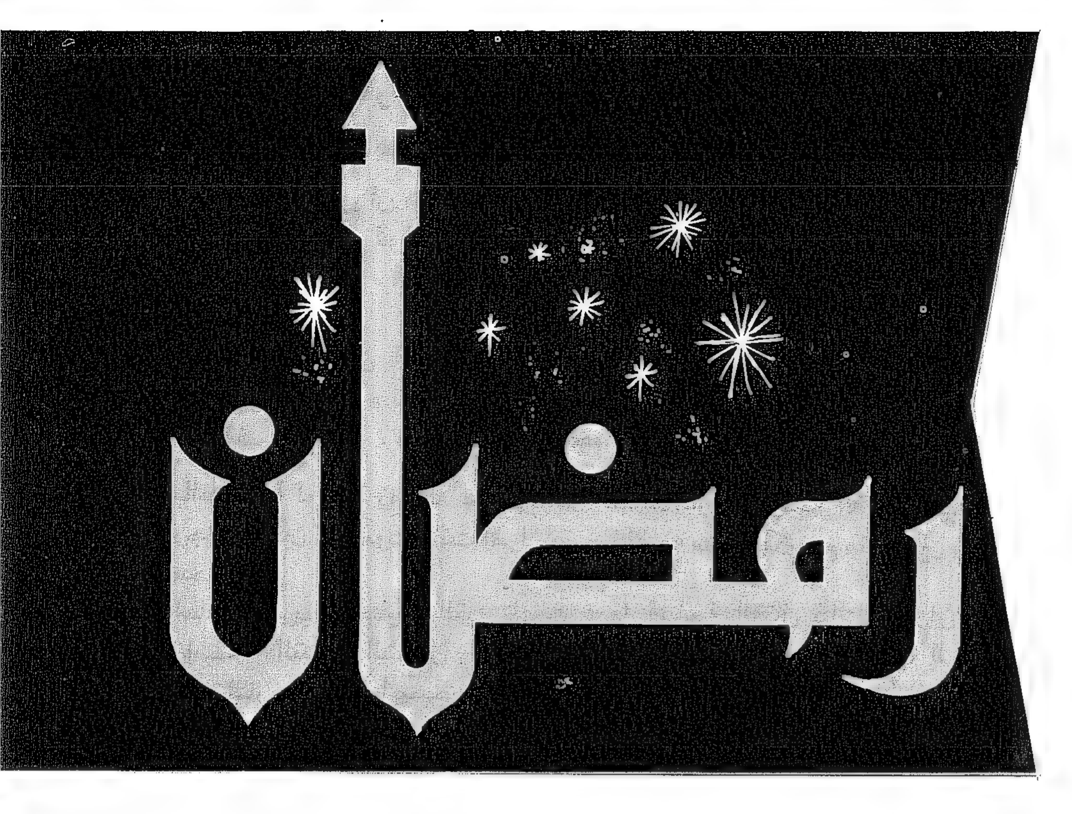
بالطمأنينة لوجود زملائه على جنبيه ، فضلا عن ان رقابة القائد وسيطرته على رجاله بالعين والصوت كانت امرا ميسورا لقربه منهم ولكونهم متجمعين في مساحة محدودة .

أما في الحرب الحديثة التي ظهرت فيها أسلحة القتال ذات النيران الهائلة ، وأسلحة التدمير الشامل « مثل الأسلحة النووية » ، فقد اضطرت الجيوش إلى الانتشار حتى لقد أصبحت هناك مسافات بين الجندي وزميله تصل إلى حد أنه قد يواجه وحده موقفا في المعركة عليه أن يفكر ويتصرف فيه وحده . كذلك أصبحت سيطرة القائد على رجاله أكثر صعوبة وتعقيدا عن ذي قبل مما يمكن معه أن يقال : إن عنصر الرقابة المباشرة على المقاتل في الميدان لم يعد ممكنا ..

● وأهم ما يستخلص من ذلك أنه لا قيمة للفرد الذي تعوَّد على ألا يؤدي واجبه إلا عند وجود رقيب عليه ، بل إن مثل هذا الفرد يصبح خطرا على الجماعة ، إذ قد يؤدي إهماله أو تقاعسه ـ وهو الفرد الواحد ـ إلى تعريض القوة بأكملها للخطر أو الهزيمة .. وهكذا ظهرت أهمية أن يكون الانضباط نابعا من الذات دون حاجة إلى رقيب أو قوة دافعة خارجية .

● وتطورت مفاهيم الانضباط في علم النفس العسكري ، فبعد أن كان « في صلب الجماعة » ، أصبح في « صلب كل فرد » كما يقول العلماء والخبراء . وبعد أن كانت « الجبرية » هي مدرسة الانضباط التي عبر عنها قول فريدرك الأكبر : « انظر إلى هؤلاء الرجال ، لو اختبرتهم واحدا واحدا لوجدتهم يكرهونني ، لكنهم متى اجتمعوا في صفوفهم ، وعلموا أن الضابط وراءهم بالسوط ، فانهم يضطربون خوفا ، ويكفي أن آمرهم حتى يلقوا بأنفسهم في النار دون تفكير ، لأنهم يجهلون كل شيء حتى الغرض الذي يقاتلون من أجله » ، تحولت الجيوش إلى نظريات جديدة تحترم فردية الانسان وشخصيته مثل نظرية « الانضباط الذاتي » و « عقيدة القتال » .

حقا ما أعظم تكريم الاسلام للانسان !



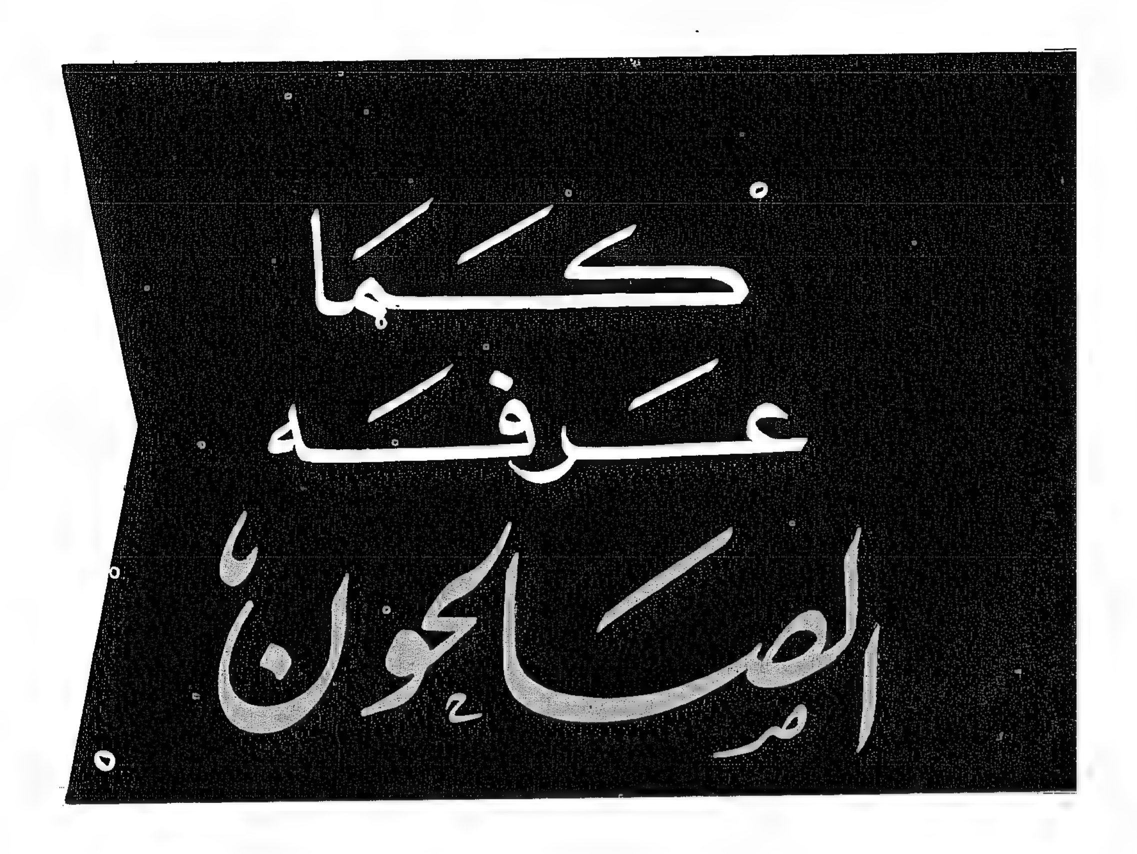
للدكتور / عزالدين علي السيد

تقدمة :

إذا شهد الانسان الذي اختاره الله للسعادة شهادتي الاسلام ، فقد أعلن بهما التزامه لله بمنهج التربية الالهي ، الذي يحقق ذاته المسلمة ، ويخرج منه بطلا من طراز لم تستطع ـ ولن تستطيع ـ فلسفات الدهور أن تخرج لنفسه وللعالم مثله .

بطلا جديرا ـ من جهة الله جل علاه ـ أن يتولاه بالرعاية ، فلا يكبو إلا لينهض ، ولا يخطىء إلا ليصيب ، فاذا نهض وأصاب من بعد الكبوة والخطأة ، عرف أن الفضل لله ، فألهج لسانه بذكره ، وجنانه بشكره ، حذرا وقّافا ، مخافة أن يغتر فيتيه ، فينزع الله عنه لباس الأمن والسداد ، فيكله إلى نفسه ، ومن وكله الله إلى نفسه هلك !

وجديرا ـ من جهة الدنيا ـ أن يعرف مكانه منها ومكانها منه ، فيعاملها ـ من وجه ـ معاملة الخليفة المترفع ، فلا يترك لها أن تستعبده وتستذله بالفتن



والشهوات ، مهتصرا عودها ، معتصرا ثمرتها ، منتفعا بركازها ، مستخرجا خيراتها من أعماق البحر ، ومستنزلا بركاتها من غضون السماء ؛ لأن المنهج الالهي للتربية هكذا شاءه خليفة فيها ، وهكذا حثه حثا متصلا ، لا يترك لعقله أن يخبو ، ليستدر ـ ما أمكن ومادام على وجه الأرض ـ كل طاقاته الموهوبة في إرضاء رَبّه !

ثم يعاملها ـ من وجه آخر ـ مع هذا النشاط المشروع لعمارتها ، ولسيادة الانسان الذي كرّمه الله فيها ، معاملة الضيف المرتحل أو الغريب النازح ، الذي كان يعمل ما يعمل ، ليعيش في دار الغربة عزيزا كريما ، ثم ينتقل خفيف الحاذ ، غير مثقل النفس بحزن على نفيس ملكه آن فراقه ؛ لأن كل ما بين يديه من نعم الله ما هو إلا مستخلف فيه ، ووال مسئول عنه ، بأجر معجل هو لابد قد استوفاه : لقمة تقيم صلبه ، وثوب يستر عورته ، وصدقة أسبقها بين يدى أجل لا مهرب منه !

بهذا يكون جديرا ـ من قِبَلِ نفسه ـ أن تسكن إلى الله فتسعد بقضائه ، في كل ما قدَّر ، صادقة الحس ، بأنَ حكمة الله وراء القضاء ، وأنه لو لم يكن خيرا

لعبده الذي سلك طريقه وآثر منهجه ، لم يجره عليه ؛ لأنه جل علاه أرأف به من نفسه ، وأعلم بما يسعده من كل وَهْم يخاله !

والمنهج الإلهي لتربية هذا البطل ، الداخل طواعية في الاسلام ، والذي يحقق للذات هذه العظمة والكرامة ، هو ما وراء الشهادتين من أركان ، ما أشبهها بالمعسكرات التي تعتمد عليها الدول لتكوين الرجال ، تكوينا شاملا ، يهيئهم ليكونوا حملة العلم في ميدان الجهاد ، مع الفارق الكبير والواسع المدى ، بين ما نبع من الأرض وما أنزل من السماء ، فما نبع من الأرض ـ مهما صفا وراق ـ ممتزج بعناصر الأرض الخالدة فيه ، وما أنزل من السماء هو نور الله من ذات الله ، الذي تعشو إليه قلوب المؤمنين فتصبح للأرض أمنة ، يهدى بها الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم !

منهج متكامل يشد بعضه بعضا ، ولذلك مثلت فيه تلك الفرائض المحكمة بأركان البيت ، التي لا يكون دونها بيتا !

غايته أشرف الغايات ، كل غاية سواها منسوبة إليها ، وهى صقل القلب ليشرق فيه الحق بنوره ، ليفيض نوره على جميع الجوارح ، فيعلم المسلم أنه العبد ، وأن مفيض النور هو الربُّ ، وأن قوى الكون مهما علت أو أرعبت فهى مربوبة لجلاله ، فيقطع شوط الحياة على هذه العقيدة ، التي يمدها دائما بغذائها « الله أكبر الله أكبر » تتردد في ليله ونهاره من لسانه وعلى سمعه ، نهارا وليلا ، وحضرا وسفرا ، إلى أن يلفظ الروح ، وصدى « الله أكبر » نور يحملها بجناحيه إلى منازل السعداء !

الصوم :

والصوم ، هذه الفريضة المحكمة ، والركن الركين من أركان الاسلام ، قد شاءه الله تعالى ركنا لكل رسالة سماوية ؛ لأن الرسالات كلها واحدة ، والأنبياء كلهم أولاد عَلاَّت !

غير أن الصورة والزمن لهذا الفرض تحت الغاية تختلف لحكمة الحق ، كما تختلف النجوم في السماء والأنهار في الأرض ، اختلافا لا يذهب بالقيمة ولا يهدر الغاية ، إلا أنه جل علاه قد اختص هذه الأمة باليسر ، لما علم من أنها الباقية على الدنيا إلى يوم الدين ، وأن دينها القيم سيدخل على ما دخل عليه الليل ، لتستبشر قلوب السالكين بهذه اليسرى ، ولتعلم أن الدين الخاتم والمهيمن على ما سبق ، قد جاء ليضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على سواها . فكان الصوم المفروض شهرا ، وكان في الشهر محدودا في الأيام بنهارها دون ليلها ، قال تعالى : (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) ١٨٥/ البقرة وقال : (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل**) البقرة / ١٨٧ وكان الذين قبلنا ، إذا نام أحدهم قبل أن يفطر ، حرم عليه الطعام

فوصل بين اليومين ، كما ورد في ذلك الموضع .
وقد أعلن الحق ترخيصه لطوائف من الناس رحمة بهم ، أن لا حرج عليهم إذا أفطروا ، بقضاء عند القدرة أو بفداء ، وامتن بهذا عليهم ليشكروا نعمته ويقدروا رحمته : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) مؤكدا تلك الارادة الرحيمة بنفي ضدها ، تأكيدا يقسر قلوب المؤمنين على حبه والخجل من ميل عنه لا يليق بإحسانه !

قيمة الشهر :

أما الشهر فقد اختاره الله عظيما ، والشهور والأيام ظروف من الزمن ، لا فضل لبعضها على بعض ، إلا بما تحمل من كبار الأحداث ، حتى لتصبح مولدا يلد التاريخ ، فيحسب الزمان من عنده !
والعظمة التي اكتسبها هذا الشهر العظيم هى أعلى ما تشرفت به الشهور ، إذ احتوى على ليلة القدر ، التي هى خير من ألف شهر ، وانما كانت كذلك وهى ـ أيضا ـ زمن من الزمن ، لأنها نزل فيها القرآن المنقذ من الضلالة ، فضلا من الله ونعمة : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدي والفرقان**) ١٨٥/ البقرة . : (**إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم**) ٣ ـ ٦/ الدخان .

الفرح بمقدمه :

لهذا الفضل الذي عرفه المسلم من تعظيم الله ورسوله لهذا الشهر ، ولما فيه من هذا النور الذي عمه بالليلة المباركة ، كان المسلم يتلهف على أيامه ، يتشوفها بقلبه حنينا إليه ، لما يرى من نفحات رَبّهُ الزكية ، تغمر وجدانه فيه ، فتفيض على كل دنياه ، يحس بها نشوة سارية به في محيط من نور يطرد الظلمات !
يحس بها همسا حبيبا إلى روحه : أن هلم إلى شهر الغفران !
ونجوى صاعدة بقلبه : أن هذه ليلة القدر شارفت فاغتنمها !
ثم أمعن الزمن في المسير .. فأصبح يحسُّ بها صفحة منشورة وضاءة ، تبهر سطورها الروح جلالا ، وتهزُّ حروفها القلب روعة ، فلا يملك إلا أن يرسل الدمع هتانا ، وهو يرى بين سطورها الغر « بدرا الكبرى » . يستقبل قليبُها الفرح الناشط رءوس الكفر وأساطين الكبر والأنفة ، كي يحشروا منه إلى النار ، وأبو جهل الفارع القرشي العنيف ، يسقط ذلا أمام بلال الحبشي الشريف : إعزازا من الله لمن آمن ، وانتصافا له ممن بغى وتجبر ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به

حسبه !

نعم ، وهو يرى بين سطورها مكة الأمس .. التي ذرفت دموعها أسى لفراق حبيبها المهاجر .. وهو أمامها يعتذر إليها وفاء ، ويقطر وداعه رقة وحبا .. وهى اليوم في رمضان مكة الفتح المبين .. ترتفع فيها راية النصر .. وينطلق فيها من فم الرءوف الرحيم للضارعين بعد الأنفة ، والمطأطئين بعد الصلف « اذهبوا فأنتم الطلقاء » !

ثم يمعن الزمن في المسير ، ليحسّ المسلم بصفحة رمضان معارك ظافرة تتجدد من حين إلى حين ، يخلع عليها ربُّ رمضان خلعة رضوانه ، فتفتح الأندلس ، وتندحر الصليبية في مصر ، وينتصر الاسلام في عين جالوت ، ويطرد التتار من أنطاكية ، ويستولى جنوده على القرم .. وأخيرا في الزمن الكئيب أهله .. وباشراقة خفيفة من آيات الله ، يتحطم برليف حلم اليهود الشامخ ، ويصبح من الحقائق الصادقة حلم العبور !

هكذا كان إحساس المسلم واستشرافه القلاع ورءوس الجبال والمراصد ، مشوقا إلى الطالع المسعد ، فاذا اكتحلت أعين المسلمين بنور هلاله ، دقت طبولهم فرحا ، وانطلقت المدافع إعلاما ، وتهللت المآذن في القرى والمدن ، وتفتحت الدور المباركة في كل حي ، ليعيش الناس ليلهم مع القرآن شهر سعادة إلى مطالع الفجر ، فلا تغادر الفرحة أحدا ، حتى الأطفال يحملون المصاحف في وداعة تمتزج براءتها ببراءة القرآن وطهره من كل زيف وفتنة !

لم يكن ذلك بدعا ، وقد عرفوا ما قال نبيهم :

« أتاكم شهر رمضان : شهر مبارك ، فرض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، وفيه ليلة هى خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » مسند أحمد ، والنسائي ، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة .

« يأيها الناس ، قد أظلكم شهر عظيم مبارك : شهر فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ... » عن سلمان الفارسي من خطبة للنبي أخرجها ابن خزيمة والبيهقي .

نعم كانوا كذلك ، وكانوا يقتد ون في الجودبنبيهم ، فتمتد الموائد لذى الحاجة وابن السبيل ، فاذا لم يجدوا آكلا لطعامهم أسفوا ! لأنهم آمنوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من فطّر صائما كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا » رواه احمد والترمذي ولأنهم عرفوا أنه صلوات الله وسلامه عليه ، كان أجود الناس ، وأشد ما كان جودا إذا جاء رمضان فهو فيه أسبق من الريح المرسلة !

كيف لا يؤمنون بهذا ، ويصنعون هذا ، وقد أضاف ربهم عملهم في رمضان

إلى ذاته فقال : « كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فانه لي ، وأنا أجزى به » رواه البخاري واللفظ له ومسلم من حديث أبي هريرة .

ما وراء الجوع والظمأ :

والحقيقة الظاهرة لهذا التدريب التربوي ، هى حرمان الصائم أوقات صومه من الطعام والشراب واللقاء الجنسي ، وهذا الحرمان إذا رجعنا إلى الحساب الزمني قد اختزل إلى نصف الشهر دون أكمله ، فانه لا وصال في الصوم لليل بنهار ، فاذا نسب إلى العام كله فما أيسر ما كلف الله عباده ، ولو علم المسلم ما فيه من الخير لتمنى أن يكون السنة كلها ! فاذا عرفنا أنه ليس لله حاجة في أن يدع الصائم طعامه وشرابه ، أيقنا أن العائدة منه لنا ، فضلا من الله علينا !

: **(يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد)** ١٥/ فاطر .

وهنا نقف قليلا عند بيان الله لتلك العائدة : **(لعلكم تتقون)** لنعلم أن التقوى هى الضمير الديني المتصل برقابة الله ، والذي يحول بين العبد وبين المعاصي ، فتلتقى غاية الصوم بغاية الصلاة : **(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** ٤٥/ العنكبوت .

ولكن كيف تتحقق هذه التقوى ؟

تتحقق في الصوم من الوجهة المادية بترك شهوة البطن والفرج ، وكلتاهما إذا احتدمت أهلكت ، فاذا مكننا الصوم من الاستعلاء عليهما فقد انتقلنا إلى وجهة روحية ، تتحقق فيها الذات المسلمة ، التي تفترق عن ذات الحيوان ، الذي هو في صورة إنسان أو غير إنسان ، ولا يكون هذا إلا باستصحاب الصبر ، الذي هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، والذي فيه قال الله : **(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)** ١٠/ الزمر .

فالارادة والعزيمة والصبر سلاح التقوى ، يحارب بها الصائم الضعف والهزيمة ، فاذا صارت له بالتكرار طبعا ، صار الانتصار له جزاء في كل درب من دروب الحياة !

ولما كانت عائدة الصوم كذلك صحبت فرضيته الوصايا التي تسدد خطى الصائم إلى غايته ، وتحذره فلتات العزم باغراء الشيطان :

« إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم إني صائم » رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم عن : أبي هريرة .

« من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري عن ابي هريرة .

وهنا ـ أيضا ـ نلتقي بالحج في غايته :

(فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ١٩٧/ البقرة .

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » متفق عليه : أبوهريرة .

المجتمع وراء الفرد :

إذا تحققت ذات الفرد بتلك العزائم تحققت ذات المجتمع الاسلامي ، الذي تملك أفراده هذه الطاقة في السلم والحرب ، فالمنهج إذن منهج أمة ، كل فرد منها مرابط على ثغرة ، ولو تصور كل منا نفسه هكذا لما نال الأمة الهوان !

مشاركة وجدانية :

الصائم الذي عَلَتْ إرادته وتحققت بالخير ذاته ، تدفعه لذعة الحرمان المؤقت تلك إلى أمرين كبيرين : أن يحس بالوجدان مقدار النعمة فيلهج بالشكر ، ومقدار جوع دائم بفقر ملازم لمن حُرِمَ السعة ، فيسبق باسعاد قلبه ، منزعجا له بما جرَّب في نفسه !

بل وليدرك ما آثر نبيه وأصحابه من الفقر على الغنى ، ومن الجوع على الشبع ، لأن الغنى والشبع مظنة البطر والأشر، وما عند الله خير للأبرار !

هذه المشاركة الوجدانية التي سببها الجوع ، أحسَّ بها « يوسف ـ عليه السلام » إذ سئل : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض حفيظ عليم ؟ فقال : « أخاف أن أشبع فأنسى الجائع ! »

إنها سنة الأبرار ، الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ! جَرِّعْ قلبك هذا الدواء ودعني أشاركك !

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما : « لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه ! » رواه مسلم .

لقد كان هذا بمحض اختياره ؛ لأنه لم يشأ أن يكون نبيا ملكا ، بل دعا الله فقال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » متفق عليه عن أبي هريرة .

فلا عجب أن تقول عائشة : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى في ثلاثين صاعا من شعير » متفق عليه .

هكذا رسم الصورة ، ووضعها على رأس الطريق ، وبين أنه : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ! بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ! فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الترمذي عن المقداد بن معد يكرب .

حث وتحريض :

ولم يَدَعْ ربنا جل علاه وهو المنعم ذو الطَّوْل ، كما لم يدع نبينا صلوات الله

وسلامه عليه وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ـ إغراءنا لخير أنفسنا المحض ، بما أعد لنا من أجر ، إذا نحن التزمنا ذلك المنهج الصاعد ، لنمضي ونحن على أسعد حال بصومنا ، مستعذبين الجوع ، مستلذين الظمأ ، مستظلين بشرف الغاية وعظمة المصير !

حسبنا ـ مع كل ما سبق ـ أن يجعل الله جل علاه ريح فم الصائم وقد غيره الجوع والظمأ إلى ما تعلم ، أطيب عنده من ريح المسك !

يالله ! ما أزكى وما أعظم أن تنقلب طبيعة هذه الريح إلى الضد ، بل إلى أزكى من الضد ! ثم أن يجعل مع هذه التزكية للصائم فرحتين ، ما أكرمهما على نفسه : فرحة عيد الفطر بتمام الصيام توفيقا منه ! وأعظم من هذه : فرحته عند لقاء ربه المخشى المهيب من كل قلب منيب !

حالنا اليوم :

هذه إشراقة من إشراقات الحق ، وقبس من أقباس النبوة ، يتكرر من الدعاة التذكير بهما وبمثلهما كل عام مع شهر الصوم ، لتتضح الصورة الصحيحة أمام القلوب !

ما بالنا اليوم قد انطمست بنا هذه الصورة ، فما أصبح العالم يرى فينا إشراقها الذي كان يراه فيمن قبلنا ؟

يكاد أكثر من نُعِتَ بالاسلام يرد رمضان عن وجهه بكلتا يديه لو استطاع ، أو يلغي أيامه من حساب التاريخ لو أمكن !

أيُّ عذر في الفطر لذوى الأجسام الفارهة ، والرءوس الشامخة المستكبرة ، ذات النعمة والغنى والفضل من الله ؟

أي أدب إنساني فضلا عن أن يكون إسلاميا لمن ينفخ دخان التبغ في وجوه الصائمين إسرافا في التهكم والمجاهرة ؟

أي حكم يعرف الكرامة وشرف الرسالة يرضى هذا المجون بل هذا الجنون ؟

أية وسائل للإعلام في بلد يعرف قدر الاسلام يجرف بتيار برامجه المفسدة قليلَ ما يذيع من برامج دينية واجبة ؟

أليس هوان المسلمين على أنفسهم هوانهم على عدوهم ، الذي أتقن بما استيقن من هزالهم إحراق ما بقى من أحلام عزتهم بإحراق المسجد الأقصى يوم احتفالهم بغزوة بدر ؟

يا قلوب تشققي !!

هذا رمضان ! فهل دق أبوابك دقا يوقظ المسلم الذي رقد فيك رقدة الميت في لحده ؟

وا حيائي بدقك الأبواب على مثلنا يا .. رمضان ، ، ، ،

وقفة تأمل

مسؤولية الكتابة

○ نخصص وقفتنا هذه لتكون مع بعض كتابنا الأفاضل .. فقد لاحظنا في كتاباتهم انهم . لا يراعون الدقة في اختيار الالفاظ المناسبة لتكون قوالب لمعان عظيمة .. واذا كانت لغتنا غنية بالمترادفات – إذا جاز لنا ان نقول ذلك – فلكل لفظ موضعه ومكانه المناسب ، فيعدل عن لفظ إلى آخر لانه اوضح دلالة ، وادق استعمالا ، وانسب توصيلا للهدف المطلوب إيصاله .. والكلمة امانة يتحمل مسئوليتها الكاتب بالدرجة الأولى .. ولا نعفي أنفسنا كمجلة إسلامية هدفها نشر الوعي الاسلامي بعيدا عن الخلافات المذهبية والتيارات السياسية .. لا نعفي انفسنا من المسئولية ايضا .

○ نقول هذا لان الأستاذ الكاتب محمد علم الدين كتب في مقاله « العدل في الاسلام » المنشور في عدد شعبان – رقم ٢٢٤ – لسنة ١٤٠٣هـ . ما يفيد بان القرآن مخلوق .. وتلك قضية لا نسلم له بها ، ولا نخاله قصد إليها .. فالموضوع كان يعالج قضية « العدل في الاسلام » .. ولكن الكاتب لم يراع الدقة في اختيار الألفاظ .. ورحم الله الامام احمد بن حنبل الذي أوذي وعذب .. لرفضه القول بخلق القرآن والحمد لله إذ نجانا من ان نشهد عصر هذه الفتنة ، فلا ينبغي لنا ان نثيرها مرة اخرى .

○ ولان الدكتور عبدالرحمن العيسوي عندما تكلم عن خرافات في اذهان الشباب خلط بين الخرافات والاصول التي تدور حولها فقد يكون الاصل صحيحا .. وهو من صلب العقيدة الاسلامية ، ولكن الناس الصقوا به اباطيل من عند انفسهم .. فالسحر حقيقة ، والعين والحسد حقيقة ، والاعتقاد بوجود الجن ضرورة من ضروريات الايمان ولا ضرر من ذلك كله إلا باذن الله . نطق بذلك القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة .. ولكنه ينساق مع الاحصائية ، فلا يفرق بين الاصول الصحيحة والخرافات والأوهام التي تدور حولها

○ ولان البعض تاخذه الغيرة على الاسلام وحرماته ، فيدافع عن إحدى قضاياه ، ومحاولة البعض العبث بها ، فيذكر زعيما بالاسم او بالوصف الواضح .. مما يتسبب عنه منع المجلة من ان تصل إلى قرائها في هذا القطر او ذاك ، ولو تجرد الكاتب لمعالجة الموضوع دون التعرض لشخص ما ، لما حرم القارىء من اطلاعه على المجلة ، وهذا ما نحرص عليه .

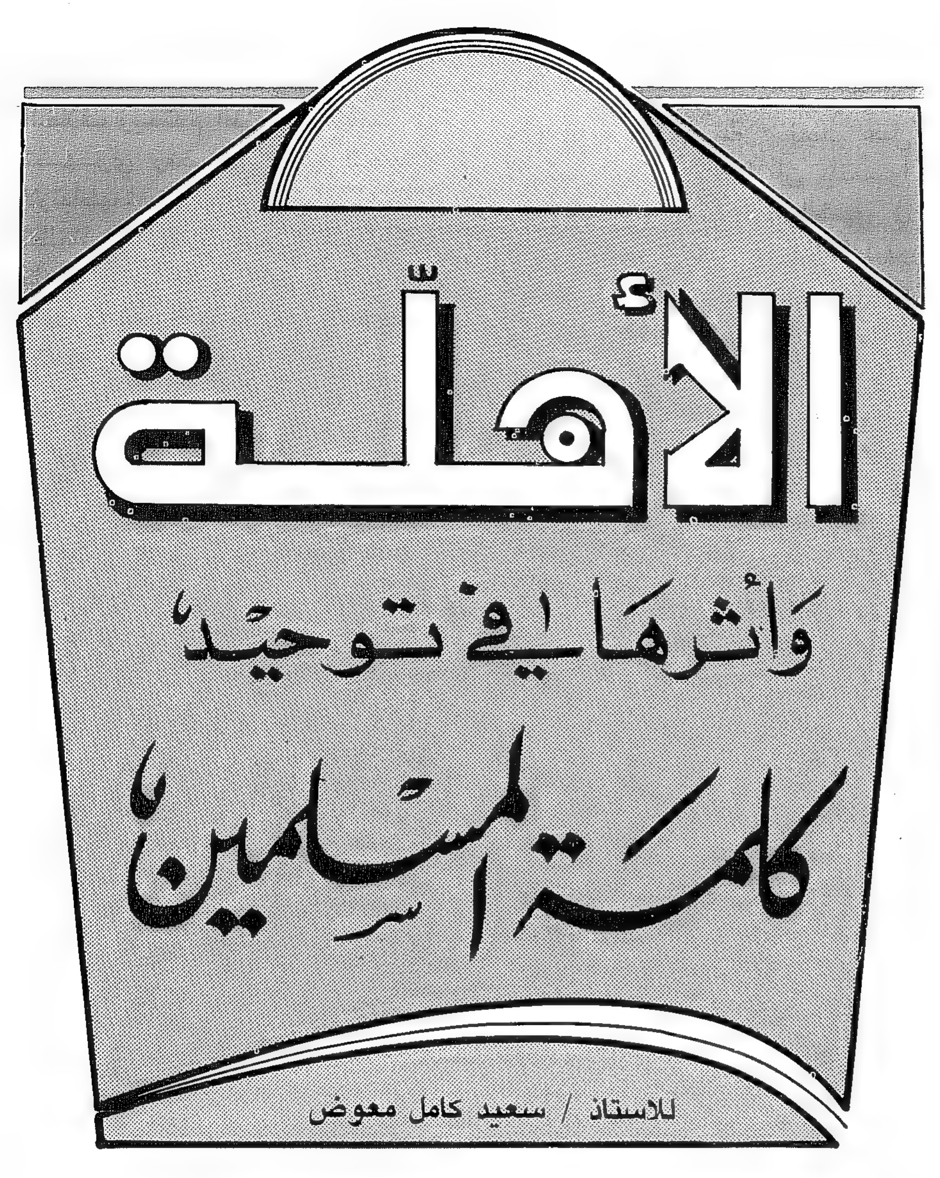
○ ولان بعضهم يذكر نقولا يبين مصادرها .. ولكن إذا ما اضطرنا عدم استقامة الاسلوب ، وتناقض المعنى احيانا إلى الرجوع إلى المصادر وجدنا النقل غير امين .

○ ولان بعضهم يرسل مقاله لأكثر من مجلة ، وينشر في اكثر من مجلة ، فاذا ما عاتبناه في ذلك حملنا المسئولية لأننا تاخرنا في النشر او لم نخطره بأن مقاله سينشر .. والنشر عندنا يخضع لاعتبارات تراها إدارة المجلة ، وهي لا تمس الكاتب في شيء .. مع العلم بأن المقالة تعتبر ملكا للمجلة بمجرد وصولها .

○ ولان بعضهم : يستخدم الفاظا لا تتناسب وكرامة الكلمة في المجلة المسلمة ، ويمنعنا الحرج من ان نصارح الكاتب بهذا .

○ هذا والمقالة ايا كان موضوعها .. يجب ان تتسم بوضوح المعنى ، ودقة اللفظ ، مع الاختصار المفيد ، والبعد عن الاطالة بلا داع ، والاستطراد لغير هدف .

وتلك امانة يتحمل مسئوليتها الكاتب ، وتستدعي وقفة .. نراجع فيها ما كتبنا ، ونتأكد من حسن استخدام الأداة – الكلمة المكتوبة – لتحقيق الهدف المنشود من وراء نشر المقال .. والله الموفق والمعين .



(يسألون عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)
البقرة / ١٨٩

الحمد لله رب العالمين ، عدد خلقه ، وزنة عرشه ، ورضاء نفسه ، ومداد كلماته .. ونستعين بحوله وقوته ، ونعوذ به من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، ونصلي ونسلم على نبيه وخير من اصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له باحسان الى يوم الدين ثم اما بعد ...

فقد طال الجدل بين علماء المسلمين في تحديد الأهلة وأوائل الشهور القمرية وأواخرها واختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا .. وفي كل عام يتجدد

الخلاف ويحتدم النزاع .. خاصة في شهري رمضان وذي الحجة لارتباطهما بالصيام والحج .. وطالما تطلعنا ـ نحن المسلمين ـ الى توحيد كلمتنا في مشارق الأرض ومغاربها .. وذلك بتوحيد مبدأ الشهور القمرية في جميع البلدان الاسلامية ، وبذلك يتوحد المسلمون في اداء عباداتهم ، وفي مواسمهم وأعيادهم .

وتوحيد اوائل الشهور القمرية وأواخرها يعتبر في حد ذاته من اقوى العوامل التي تمكن الروابط بين الشعوب الاسلامية في جميع نواحي الأرض وتجمع كلمتهم واحدة فتكون امة المسلمين كما ارادها الله سبحانه وتعالى حين قال في سورة الأنبياء الآية ، ٩٢ : (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) .

وتوحيد اوائل الشهور القمرية وأواخرها ليس بالشيء العسير في هذا الزمان الذي تقدمت فيه علوم الفلك .. والآلات الدقيقة التي لها القدرة على رصد الهلال مهما كان صغير الحجم ..

ونحن بعون الله وفضله سوف نركز في مقالنا هذا على ركيزتين أساسيتين :

اما الأولى : فهي استعراض آراء علماء المذاهب الأربعة في ثبوت الهلال في حالتي الصحو والغيم .. **والثانية** : استعراض آراء علماء المسلمين في مطالع القمر وأثر اختلافها في اثبات اوائل الشهور وأواخرها .

اولا : آراء علماء المذاهب الأربعة في ثبوت الهلال في حالتي الصحو والغيم : ـ

(١) آراء الحنفية : يجب على المسلمين وجوب كفاية ان يلتمسوا هلال رمضان او غيره من الشهور في اليوم التاسع والعشرين من الشهر السابق ، فربما يكون الشهر تسعة وعشرين يوما لذلك يجب رؤية الهلال .. فاذا ظهر الهلال يثبت الشهر الجديد ويصام الشهر اذا كان رمضان .. وذلك لقوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٥ (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) .. فاذا لم يظهر الهلال ، يجب اتمام الشهر ثلاثين يوما ، وذلك لقول الرسول في حديثه الشريف : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين** » متفق عليه .

وفي كتب الحنفية اذا كانت بالسماء علة من غيم او غبار يحجب الرؤية فيقبل في ثبوت الهلال خبر عدل او مستور ولو كان الخبر العدل او المستور على خبر مثله ، ولا يشترط ان يكون المخبر حرا او عبدا ، ذكرا او انثى ، ولا يشترط كذلك العدد ولا لفظ الشهادة ، ولا تقدم الدعوى ولا حكم الحاكم ولا مجلس القضاء ، والحنفية يستدلون في ذلك بما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ـ

« ان اعرابيا أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ابصرت الهلال ، قال الرسول اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؟ قال نعم .. قال الرسول قم يا بلال وأذن في الناس ليصوموا غدا » وفي رواية

اخرى « اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؟ قال نعم . قال الرسول يكفي المسلمين احدهم قم يا بلال وأذن في الناس ليصوموا غدا » ويستدلون كذلك بما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال « تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم اني رأيته ، فصام وأمر الناس بصيامه » رواه ابو داود والدارمي .

من ذلك يتبين لنا ان الحنفية يشترطون في المخبر ان يكون مسلما عاقلا بالغا والا يكون ظاهر الفسق .

اما اذا لم تكن بالسماء علة : فلا يقبل خبر الواحد حتى يراه الكثيرون ويقع العلم للقاضي بخبرهم .. والمراد من العلم هنا هو غلبة الظن لا اليقين .

وروى الحسن عن ابي حنيفة انه تقبل في هذه الحالة ايضا شهادة الواحد العدل ، وفي رواية اخرى شهادة رجلين او رجل وامرأتين وفي استطلاع هلال شوال فانه اذا كانت بالسماء علة فلا تقبل فيه الا شهادة رجلين او رجل وامرأتين مسلمين حرين عاقلين بالغين غير محدودين بقذف ، وذلك مستند على ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم انهما قالا : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجاز شهادة رجل واحد على رؤية هلال رمضان وكان لا يجيز الافطار الا بشهادة رجلين » .

واذا لم تكن بالسماء علة فهو كهلال رمضان لا يقبل فيه الا خبر جماعة ، يحدث بخبرهم غلبة الظن وروى الحسن عن ابي حنيفة انه تقبل فيه شهادة رجلين او رجل وامرأتين سواء كانت السماء صحوا او كان بها علة .

وفي حالة استطلاع هلال ذي الحجة في رأي الحنفية هو كهلال الفطر في الصحو والغيم ، ويقول ابن الهمام انه يقبل فيه شهادة الواحد .. لان هذا من باب الخبر فانه يلزم المخبر اولا ثم يتعدى منه الى غيره .. ولانه يتعلق بأمر ديني هو وجوب الأضحية ، وكذلك حرمة صوم يوم النحر وايام التشريق .. لهذا صار كهلال الفطر يقبل في حالة الغيم خبر الواحد العدل ، اما في حالة الصحو فلا يقبل الا ما يحصل به غلبة الظن .

وأهلة بقية الشهور كذلك يجب استطلاعها في اليوم التاسع والعشرين فاذا ثبتت رؤية الهلال يكون اليوم التالي هو اول الشهر الجديد ، اما اذا لم تثبت رؤية الهلال فيجب اتمام الشهر ثلاثين يوما .

(٢) آراء الشافعية :

يقول الامام النووي : انه يجب صيام رمضان بأحد امرين : **الأول** : هو اكمال شعبان ثلاثين يوما ، **والثاني** : هو رؤية الهلال في ليلة الثلاثين من شعبان استنادا الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « **صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين** » ..

ويكتفى بعدل واحد في ثبوت هلال رمضان ، وكذلك شهادة عدل واحد تكفي لاثبات هلال اي شهر وذلك بالنسبة للعبادة فقط ، ولا تثبت الرؤية لاي شهر بشهادة عدل واحد بالنسبة

لغير العبادة كطلاق او عتق او حلول دين مؤجل مثلا ..

وفي **رأي الشافعية** انه عند الاكتفاء بعدل واحد ان يكون بطريق الشهادة لا الرواية .. ولا يقبل رأي الانثى او العبد وكذلك لا بد فيها من لفظة أشهد ولا بد في وجوب الصوم ان يثبت الهلال عند قاض ينفذ حكمه .

(٣) آراء المالكية :

يتحقق رمضان في الخارج سواء حكم حاكم بثبوته او لم يحكم بأحد **ثلاثة امور :** ـ

(أ) اتمام شعبان ثلاثين يوما وكذلك بقية الشهور وذلك في حالة الغيم .. اما في حالة الصحو فيجب رؤية الهلال في اليوم التاسع والعشرين .

(ب) رؤية اثنين من العدول على الاقل للهلال ولا يؤخذ بكلام عدل واحد او عدل واحد وامرأتين ، ويعم ثبوت رمضان جميع البلدان والاقطار اذا كان ثبوت الشهر باتمام شعبان ثلاثين يوما .. ولا يعم اذا كان ثبوته برؤية عدلين الا اذا نقل شهادتهما عدلان آخران ، فكل من نقل اليه خبر العدلين بإخبار عدلين وجب عليه الصيام .

(ج) رؤية جماعة مستفيضة لا يمكن تواطؤهم على عادة الكذب .. كل منهم يخبر عن نفسه انه رأى الهلال ولا يشترط ان يكونوا كلهم ذكورا او احرارا او عدولا ...

(٤) آراء الحنابلة :

من المستحب عندهم رؤية الهلال .. فإن رؤي هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان وجب الصوم ويقبل عندهم في رؤية هلال رمضان قول عدل واحد ، وذلك لقبول الرسول خبر الاعرابي « الحديث السابق ذكره » ، ولانه خبر ديني وهو احوط ولا تهمة فيه ، ولا فرق عندهم بين الغيم والصحو ولا بين داخل البلاد وخارجها .. وحتى اذا كان الرائي في جمع كثير ولم يره غيره منهم .. وهو خبر لا شهادة فلا يشترط فيه لفظ اشهد ولا يختص بحاكم ويجب الصيام على كل من سمعه من عدل ويقبل كذلك قول المرأة والعبد .

وعند الحنابلة اذا ثبتت رؤية هلال رمضان بخبر واحد ثبتت تبعا للصوم بقية الأحكام من طلاق وعتق وحلول دين مؤجل وانقضاء عدة الى غير ذلك مما يتعلق بدخول رمضان .

وعند الحنابلة لا يقبل في رؤية الهلال خبر مستور ولا مميز لعدم الثقة بخبره .. ولا يقبل في بقية الشهور كشوال الا شهادة رجلين عدلين بلفظة الشهادة .

وبعد .. فنحن نرجح ما يلي :

(١) استطلاع هلال الشهر ـ اي شهر ـ في اليوم التاسع والعشرين فاذا رؤي الهلال كان اليوم التالي بداية الشهر الجديد ويصام اذا كان رمضان ..

واذا لم تثبت رؤية الهلال يجب إكمال الشهر ثلاثين يوما وذلك لما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابق : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين » .

(٢) اذا ثبتت الرؤية في اي بلد من البلاد الاسلامية يجب التزام بقية بلاد المسلمين بذلك وذلك لما جاء في الآية الكريمة : (**فمن شهد منكم**

الشهر فليصمه) فان لفظة منكم هنا تفيد التعميم وعدم التخصيص .

ثانيا : **آراء علماء المذاهب الأربعة في اختلاف مطالع القمر :**

تختلف مطالع القمر من مكان لآخر على سطح الأرض ويترتب على ذلك اختلاف اوقات العبادات المرتبطة بشروق الشمس وغروبها كالصلوات الخمس ، والمرتبطة بالأهلة كالصيام والحج فشروق الشمس في مكان ما يختلف عنه في مكان آخر حسب التباعد بين المكانين شرقا وغربا فأحيانا يكون شروق الشمس في بلدة معينة قبل او بعد شروقها في بلدة اخرى .. فمثلا نجد الوقت ظهرا في احدى البلاد ثم نجد عصرا في اخرى وهكذا مما يترتب عليه اختلاف اوقات الصلاة والافطار والامساك ، وهذه حكمة ربانية واقعة لا يمكن انكارها ، وبهذا لا يمكن ان تتوحد مواقيت الصلاة او الافطار او الامساك في جميع البلاد الاسلامية المنتشرة على وجه الأرض .

ولكن .. هل لهذا الاختلاف في المطالع تأثير على ثبوت الأهلة والأحكام المتعلقة بها من صوم وافطار وحج وأضحية ؟ فمثلا اذا ثبت الهلال في قطر من الاقطار ، هل تلتزم به بقية الاقطار اذا بلغها خبر ثبوته بطريقة موثوق فيها ؟

يقول العلماء ان اختلاف مطالع الشمس واقع ومعتبر شرعا في الاحكام المتعلقة بها وجرى العمل بمقتضى ذلك من بداية عهد الاسلام في اوقات الصلاة والامساك والافطار وذلك لقوله تعالى : **(اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا)** الاسراء (٧٨) . لذلك اجمع العلماء ان كل بلد يلتزم بحكمه هو دون غيره في اوقات الصلاة ، فالمعتبر عند كل قوم فجرهم وشروقهم وغروبهم ولا يلزم حكم غيرهم .. اما الأهلة فلا بد من رؤيتها ، وذلك لقوله تعالى **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** فلفظة منكم هنا تفيد العموم وعدم التخصيص ، ومعنى الشهود في الآية ـ كما يقول العلماء ـ ليس الرؤية وانما الشهود : هو الحضور ، والمعنى فمن حضر منكم الشهر وأدرك زمنه وجب عليه الصوم متى كان أهلا للتكليف بالصوم .

فمتى تحققت الرؤية في بلد من البلدان الاسلامية وجب على جميع البلاد الاسلامية التي تشترك مع بلد الرؤية في جزء من الليل ـ وجب على هذه البلاد الصيام ..

وقد قدر الفلكيون هذه البلاد من الفلبين شرقا الى المغرب غربا وقالوا انه عند ما يكون الوقت مغربا في المملكة المغربية يكون قد تبقى على الفجر في الفلبين حوالي الساعة وثلث الساعة وهي تعتبر مدة كافية لتناول السحور وتبييت نية الصوم .

واما اهل البلاد التي لا تشترك مع بلد الرؤية في جزء من الليل فانهم حينئذ يكونون في نهار يعتبر النهار الاخير من شهر شعبان ، فعليهم ان يصوموا النهار الذي يتلو ذلك النهار الأخير ، وقد سقنا حديث الرسول مع

الاعرابي الذي رأى الهلال وأخذ به الرسول ، وسقنا كذلك حديث الرسول القائل « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » ، وبينا ان الخطاب في الحديث لعموم المسلمين وليس لأحد معين .. مما يدل على الاجماع بعدم وجوب رؤية الجميع للهلال بل يكتفي برؤية البعض له ، وتلزم هذه الرؤية بقية المسلمين ..

* **ولنستعرض بعض آراء علماء المذاهب الأربعة في هذا الشأن :**

مذهب الحنفية يقول انه لا عبرة باختلاف المطالع فيلتزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب وذلك لعموم الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » اما بالنسبة لاوقات الزوال والغروب فلم يثبت عموم الوجوب فان دخول الوقت او خروجه يختلف باختلاف البقاع والبلدان فمثلا اذا زالت الشمس في المشرق لا يشترط زوالها في المغرب وكذلك طلوع الفجر وغروب الشمس بل كلما تحركت الشمس درجة فتلك الحركة تكون طلوع شمس لقوم وغروب شمس لآخرين .. وهذه خلاصة آراء الحنفية .

* اما المالكية فقد اختلفوا في اعتبار اختلاف مطالع القمر اختلافا كبيرا وانقسمت آراؤهم الى ثلاثة اقسام : ـ

اما الرأي الاول : فيقول انه لا عبرة باختلاف مطالع القمر مطلقا سواء قربت البلاد او بعدت .. يقول الحطاب في مواهب الجليل : ان الحكم بثبوت رمضان يعم كل من نقل اليه اذا نقل بشهادة عدلين او باستفاضة ، وسواء كان ثبوته عند حاكم عام كالخليفة او حاكم خاص كالامير والقاضي على المشهور ..

الرأي الثاني : يقول باعتبار اختلاف المطالع اذا ثبتت الرؤية عند حاكم خاص ، فانه لا يعم الحكم الا في ولايته فقط يقول الحطاب عن عبد الملك ابن الماجشون « اذا كانت الشهادة عند حاكم خاص فلا تعم الا في ولايته فقط » .

واما الرأي الاخير : فيقول باعتبار اختلاف مطالع القمر بالنسبة للبلاد البعيدة جدا .. روى الحطاب عن ابن عرفه عن ابن عبد البر وقد اجمعوا على عدم لحوق حكم رؤية ما بعد من البلدان كالاندلس من خراسان .. ونحن نرفض هذا الرأي لانه مدحور وغير مقبول .. لعدم الثقة في المأخوذ عنهم هذا الرأي .

* **اما الشافعية** فهذه خلاصة اقوالهم : يقول الامام النووي :

اذا ثبتت رؤية الهلال في بلد ولم تثبت في غيره من البلاد فان تقارب البلدان فحكمهما حكم بلد واحد بلا خلاف ، وان تباعدا فوجهان مشهوران ..

الاول : انه لا يجب الصوم على اهل البلاد التي لم يثبت فيها الرؤية .

والثاني : يقول بوجوب الصوم والرأي الاول اصح ، وفيما يعتبر به البعد والقرب ثلاثة اوجه :

(١) ان التباعد يختلف باختلاف مطالع القمر كالحجاز والعراق وخراسان ، والتقارب لا يختلف كبغداد والكوفة وهذا الرأي هو

الأصح .

(٢) الاعتبار باتحاد الاقليم واختلافه فان اتحدا فمتقاربان والا فمتباعدان .

(٣) التباعد مسافة القصر والتقارب دونها .

اما الحنابلة فيقولون : اذا رأى الهلال بلد ـ اي بلد ـ لزم جميع البلاد الصوم .

مما سبق يتضح لنا انه لا اعتبار لاختلاف مطالع القمر في مسائل صيام رمضان والحج والنحر لانها تأتي مرة واحدة في العام اما بالنسبة للصلاة فان اختلاف المطالع يعتبر لان الصلوات تتكرر يوميا مما يشق على المسلمين .

وهذه هي خلاصة اقوال جمهور العلماء من ائمة المذاهب الاربعة وغيرهم .. ويقول ابن عابدين في رسالته « تنبيه الغافل والوسنان » يقول : انه لا عبرة بخلاف مطالع القمر في الاقطار الا عند الشافعي ذي العلم الزخار ما لم يحكم به حاكم يراه فيلزم الجميع العمل بما امضاه كما ذكره ابن حجر وارتضاه وقال لانه صار من رمضان بموجب ذلك الحكم ومقتضاه .

ومن هنا يتقرر اجماع الائمة الاربعة على ان اختلاف مطالع القمر لا يعتبر شرعا اذا نقل حكم الحاكم الشرعي ببدء الشهر ووجوب الصوم او الافطار او الحج او النحر .. خصوصا وقد تيسرت المواصلات بين مختلف الاقطار الاسلامية ، واصبح من السهل الاتصال بأي منها في وقت يسير ..

وكذلك لان جميع البلاد الاسلامية تقع ما بين خطي ١٢٠ شرق جرينتش الى خط ١٥ غرب جرينتش ، وانها لا تختلف في الوقت اليومي الا بمقدار ٩ ساعات فقط من ٢٤ ساعة .

ولذلك تجتمع كل البلاد الاسلامية في يوم واحد .

من هنا نرجح انه لا اعتبار لاختلاف مطالع القمر كما سبق شرحه وخلاصة القول مما سبق كله :

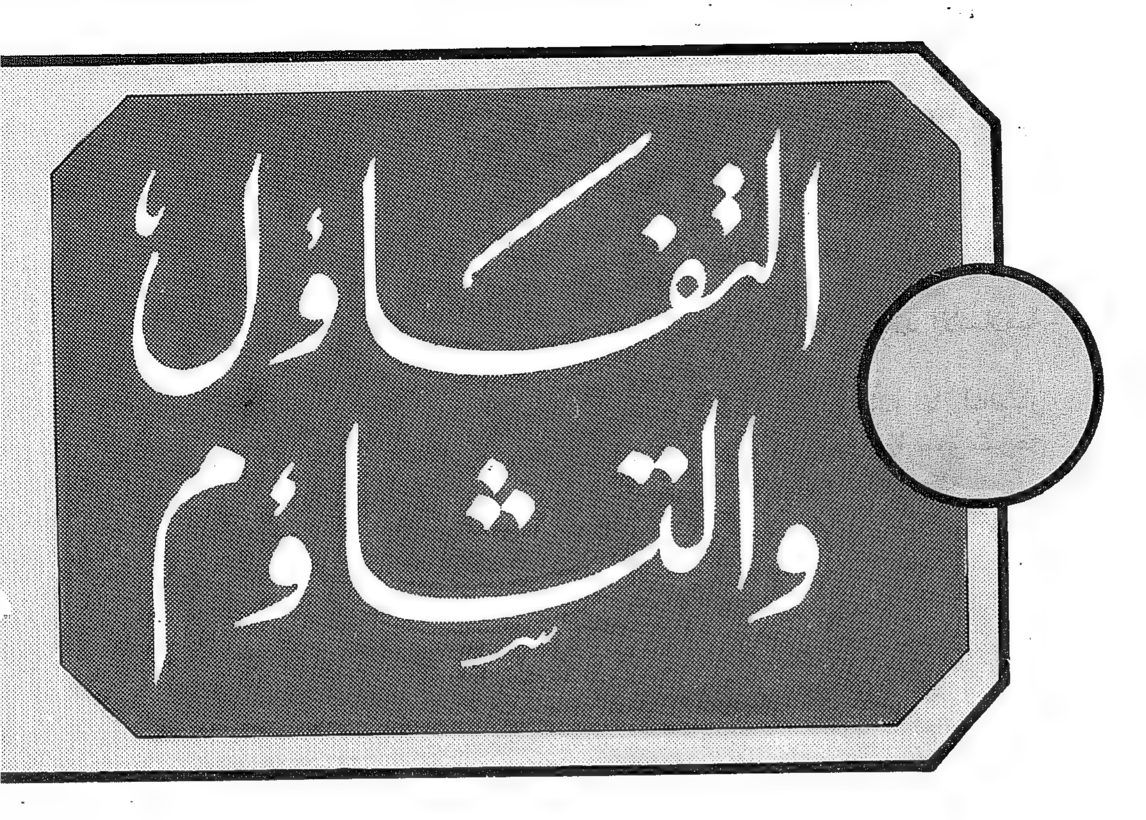
(١) ان اثبات الشهور في حد ذاته من غير نظر الى ما يتعلق به من حقوق العباد من باب الاخبار لا الشهادة ، ويستوي في المخبر ان يكون ذكرا او انثى حرا او عبدا .

ولا يشترط مجلس الحكم ولا قضاء القاضي ولا لفظة اشهد ويكفي ان يكون المخبر مستورا .

(٢) ان اثبات الشهور جميعا سواء في صحو او غيم يكتفي فيه بخبر الواحد ولا يشترط العدد الكثير الا عند الخطأ او ظهور الكذب .

(٣) لا عبرة باختلاف مطالع القمر فاذا ثبت الشهر في اية دولة اسلامية ، وجب على باقي الدول الاسلامية الالتزام به ما دام نقل اليهم عن طريق موثوق به .

وهكذا قدمنا ـ في ايجاز ـ حديثا عن الأهلة .. ونقلنا آراء العلماء والفقهاء في كيفية ثبوتها .. وهذا موضوع هام وعظيم لما له من عظيم الأثر في توحيد المسلمين .. اللهم وحد بين قلوبنا ويسر لنا سبل طاعتك والحمد لله من قبل ومن بعد .

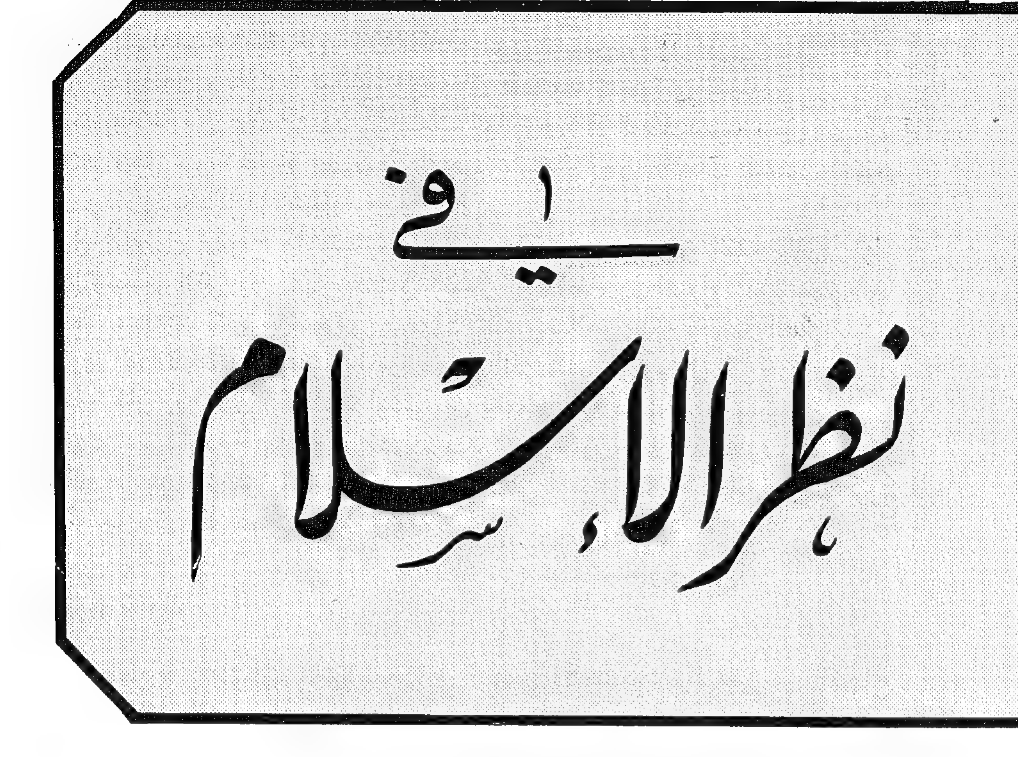


إن أخطر شيء على حياة الانسان هو إيمانه بالأوهام والخرافات واعتقاده فيها ، أو حتى ميله اليها ، لتحدد مصيره وقدره ، وتلعب بمقدراته ومقرراته ، في فوضى وفي شيوع ، وتفسر له أحداث الكون وأفاعيل الطبيعة في تباين مشاهدها ، لأن ايمان الانسان بالأوهام والخرافات يلغي عقله ، ويغرقه في بحار الظلمة ، ويدفعه دفعا نحو التأخر ، ويبيت نهبا للوساوس والظنون طيلة حياته .

وعندما جاء الاسلام حرم على الانسان كل ما يعوق تقدمه ويزعجه في حياته ، كالتنجيم ، والكهانة ، والعرافة ، والتنبؤ بالمستقبل ، وما يخبئه الغيب ، وحرم عليه ضرب الودع ، وزجر الطير ، وطرق الحصى ، والخط على الرمال ، وحرم التشاؤم ، والاعتقاد في الجن ، والاستعاذة برجال من الجن .

روى مسلم أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا طيرة ! وخيرها الفأل » ، قيل : يا رسول الله ، وما الفأل ؟.. قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » .

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلما ، فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت » .



للاستاذ/ محمد رجاء حنفي عبد المتجلى

ولقد كان الجاهليون إذا عزم أحدهم على أمر فرأى الطير طار عن يمينه تفاءل وتيمن به ، وإن طار عن يساره تشاءم به وتقاعد عن المضي فيما نوى القيام به ، فالطيرة تستعمل في المكروه ، والفأل في الشيء المحبوب ، ولقد بقيت رواسب من ذلك عند الكثير من المسلمين ، فنهى الاسلام عنها ، وحرم الاعتقاد فيها ، وجعل كل شيء مرده إلى قضاء الله عز وجل وقدره .

التفاؤل سنة الحياة :

إن التفاؤل يتفق مع فطرة الحياة ، والطيرة أو التشاؤم خروج على نظامها ، والتفاؤل سنة الحياة ، لأنه سنة العمل ، وسنة الطبيعة السليمة التي يدين بها القلب قبل أن يدين بها العمل ، فكل إنسان منا إنما جاء إلى هذه الحياة وهو أضعف ما يكون ، لا حول له ولا قوة ، دخلها غاريا ، ساهيا ، قليل الأدوات ،

محتاجا إلى المعونة في كل شيء ، في الطعام ، وفي اللباس ، وفي المأوى ، وفي الوقاية ، يقول الحق جل وعلا : (**وخلق الإنسان ضعيفا**) ٢٨/ النساء .

وكل علامة من علامات هذا الضعف البالغ هي في الوقت نفسه دليل على الثقة بالله عز وجل ، والاعتماد على سنة الوجود ، وعلامة من علامات التفاؤل الأصيل الذي يمتزج بطبائع الأشياء .

وفي التفاؤل ارتياح واستبشار ، وظفر وفوز ، وهو عنوان الثقة بالمولى تبارك وتعالى وحسن الظن به ، فهو يبعث في النفس النشاط ، وفي الروح القوة ، وفي العزم الشدة ، ولذلك كان المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يعجبه الفأل .

روى الترمذي وصححه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع : يا نجيح ، يا راشد » .

وروى أبو داود باسناد حسن عن بريدة أن الرسول صلى الله عليه وسلم « كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملا سأله عن اسمه ، فاذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رئى كراهية ذلك في وجهه » .

الطيرة شرك :

أما الطيرة والتشاؤم فانها تبعث في النفس الاحجام ، واليأس من النجاح ، وتدعو إلى التخاذل ، والايحاء بالفشل ، الأمر الذي من شأنه أن يضعف الروح المعنوية ، ويجعل الانسان يسيء الظن بالعناية الالهية ، يقول المولى تبارك وتعالى : (**إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**) ٨٧ ـ/ يوسف ـ ، وروى أبو داود عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الطيرة شرك » ، لأن من اعترض القضاء إرادته ، وصده القدر عن مطلبه وكان من المتشائمين ، جعل التشاؤم سبب خسرانه ، ونسي أو تناسى قضاء الله عز وجل ومشيئته ، وهذا ما حكاه لنا القرآن الكريم عن أقوام رسل أربعة :

١ ـ قوم سيدنا صالح عليه السلام ، فقد قال المولى تبارك وتعالى حكاية عنهم : (**قالوا اطيرنا بك وبمن معك**) ، فأجابهم رب العزة بقوله : (**قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون**) ٤٧/ النمل .

٢ ـ قوم سيدنا موسى عليه السلام ، فقد قال المولى تبارك وتعالى حكاية عنهم : (**ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون . فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه**) ١٣٠ و ١٣١/ الأعراف ـ ، فرد عليهم الله عز وجل قائلا : (**ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون**) ١٣١/ الأعراف .

٣ ـ قوم سيدنا عيسى عليه السلام ، فقد أرسل إليهم المولى تبارك وتعالى اثنين بعد سيدنا عيسى عليه السلام ، ثم عززهما بثالث ، فقالوا : (**إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم**) ١٨/ يس ـ، فرد الله عز وجل

عليهم بقوله : (**طائركم معكم**) ١٩/ يس -

٤ - قوم نبينا ورسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان المنافقون والكفار من اليهود وغيرهم اذا أصاب الناس سوء في « المدينة » يقولون : « هذا من شؤم محمد » ، وفي هذا يقول الله عز وجل : (**وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك**) ، **فرد عليهم** المولى تبارك وتعالى بقوله : (**قل كلّ من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**) ٧٨/ النساء ، يريد : فما بالهم لا يعلمون ولا يدركون حقيقة التوحيد ، وأن كل شيء من عند الله عز وجل ، فهو خالق المنافع والمضار ، ثم أرشدهم عز وجل في الآية التالية إلى حقيقة أخرى ، وهي سنة الأسباب والمسببات ، وأن الانسان لا يقع في أي شيء يضره إلا بتقصير منه في معرفة الأسباب وجهل بتعرف السنن ، وعدم اتقاء أسباب الضرر ، فعليه أن يرجع إلى نفسه يلومها في غير يأس أو شؤم من الحياة ، وأن يتعظ ويعتبر بما حدث له ، ويجعل من ذلك حافزا له إلى تهذيب نفسه وإرشادها ، فتشرق شمس الأماني أمام عينيه ، ويملأ الأمان جوانب نفسه ، يقول الحق جل وعلا : (**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**) ٧٩/ النساء

تصفية وتمحيص :

يتناقل البعض من الناس حديثا منسوبا إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما الطيرة في المرأة والدابة والدار » ، ولا يتردد أي مسلم في إنكار هذا الحديث ، وذلك لاستحالة صدوره عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

أولا : لأنه يخالف جوهر الاسلام ، دين التوحيد ، فالاسلام بأصوله وفروعه لا يجعل لغير الله عز وجل تأثيرا في هذا العالم بكل ما فيه ، يقول عز وجل :(**ذلك تقدير العزيز العليم**) ٩٦/ الأنعام ، و :(**ألا له الخلق والأمر**) ٥٤/ الأعراف ، و :(**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**) ١٧/ الأنفال ، و : (**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم**) ٥١/ الكهف ، وقد كفر أئمة المسلمين وعلماؤهم من آمن بالنجوم وبالأنواء وما شاكلهما .

ثانيا : لأنه ينافي ما عرف عن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فقد كان يحب الفأل الحسن ، وينكر الطيرة .

ثالثا : لأن في هذا القول ظلما كبيرا للمرأة ، فهو يخصها بالشؤم ، ويجعله وصفا لاصقا بفطرتها ، وهي قسيم الرجل في كل شيء ، يقول الله عز وجل :(**وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى**) ٤٥/ النجم ، ويقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :« إنما النساء شقائق الرجال» رواه ابو داود والترمذي واحمد ، فكيف تكون المرأة هي المشئومة بمفردها ، والرجل هو السعيد المسعود ؟

رابعا : لو آمن الناس بهذا الحديث لخربت البلاد وشقى العباد ، وتفسير ذلك ، أن كل من تزوج امرأة وأصابه حادث من حوادث الزمن التي لا تعد ولا تحصى تشاءم من زوجته فكرهها أو طلقها .

وكل من اقتنى دابة فوقعت عليه كارثة ، تطير من دابته ، فتركها بلا أكل ولا شرب حتى تنفق .

وكل من سكن دارا ، فحدث فيها حريق ، أو مات له فيها عزيز ، خرج من تلك الدار فارا بنفسه .

وهكذا تفترق الزوجات عن أزواجهن ، وتهلك الدواب ، وتصير الديار خرابا ، ويعيش الناس في ذعر وخوف ووجل .

إذن فما حقيقة هذا الحديث الذي ينسبه الناس إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - عن أبي حسان قال دخل رجل من بني عامر على عائشة رضي الله عنها فأخبرها أن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الطيرة في الدار والمرأة والفرس فغضبت وطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض وقالت : والذي أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، إنما كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك

وهذا الحديث يأخذ المبشرون شطره الأول - وبخاصة أنه يروى منفردا في أكثر كتب الحديث - مع علمهم بالشطر الثاني ، لأنهم قد قرؤوا أكثر مما قرأنا ، بيد أنهم ليسوا بطلاب حقائق ، بل مزيفون مبطلون ، يذيعونه بين العامة ، وبين الشباب المسلم غير المتمكن ، ويقولون : انظروا كيف يبلبل محمد عقول الناس ، ويبعث فيهم الشك والوهن ، ويثبط عزائمهم وهممهم ، ويبث في صدورهم أوهام الجهل وخرافات العامة وعجائز النساء ، والنتيجة لهذا هي صد غير المسلمين عن الاسلام ، وردة بعض المسلمين عنه ، أو شكهم فيه ، مع أن وظيفة الاسلام الأولى هي انقاذ الانسانية من الضلالات والأوهام ، وإخراجها من الظلمات الى النور ومع هذا لا نعدم احمق مخرفاً مقلدا يؤمن بكل النقول فيدعي صحة هذا الحديث ، ويدعو إلى الأخذ به .

الايمان بالقضاء والقدر :

يقول « توماس أرنولد » في رسالة له بعنوان « العقيدة الاسلامية » : إن الايمان بقضاء الله وقدره واجب ، وإن الخير والشر منه ، وإن كل ما يحدث إنما يحدث بارادته ، ولا يستطيع مخلوق أن يفعل ما لم يرد الله عز وجل ، كما قال جل

شأنه :(**والله خلقكم وما تعملون**) ٩٦/الصافات .

إن هذه العقيدة قائمة على آيات في القرآن الكريم صريحة بذلك ، قال عز وجل : (**ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير**) ١٨/ المائدة ، و : (**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**) ٥١/ التوبة ، و : (**وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**) ٢٩/ التكوير .

بيد أننا نجد آيات في القرآن الكريم تشير الى مسئولية الانسان الذي وهبه الله عز وجل نعمة العقل ، ودعاه إلى الخير ، وحذره من عاقبة الشر ، مما جعل الاختيار في الخير والشر مبنيا على ارادته واختياره ، بدون أدنى تدخل ، فقال عز وجل في صدر الكلام على عقاب الذين كفروا يوم القيامة :(**وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) ٣٣/ النحل ، و :(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) ١١/ الرعد .

هذا على أننا نجد الاسلام كما عرف عنه في أطوار التاريخ بأنه دين أخلاقي ، يشير على أتباعه أن يتمسكوا على الدوام بالواجبات الأخلاقية ، وأن فيما يفرضه عليهم من الاعتقاد أن كل شيء بأمره ، وأن كل خير إنما هو طوع مشيئته وإرادته ما يغرس في نفوسهم التبجيل وتكريم النفس ، مما يظهر أثره في سلوكهم الخارجي .

وكذلك نرى في أوقات المحنة والشدائد أثر هذه العقيدة واضحا في الكف عن الشكوى ، وتمجيد خلق التسليم والرضا ، الذي هو من أهم سمات ومزايا المؤمنين ، فاذا مسهم نصب ، أو نزل بهم ضرر ، تأثروا بهذه العقيدة ، وكانوا أكثر احتمالا وصبرا حين يذكرون أن هذا من رب العزة الذي كتب على نفسه الرحمة وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم .

إن عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ليست عقيدة استسلام للأقدار والحظوظ ، والوقوف موقف الخضوع والخنوع ، لذلك كان من التعاليم الاسلامية التي يجب أن يتمسك بها كل مؤمن تقي أن يثق بالعدل الالهي ، وأن كل ما يواجهه في المحن والصعاب إنما هو مقسوم له ومقدر عليه ، فعليه أن يقابله بالصبر والاحتساب ، لأنه من فعل الحكيم الخبير ، وإن غابت عنه أسراره ، يقول عز وجل : (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) ٢١٦/ البقرة .

وإننا لنجد هذا الدرس يتردد ويتكرر ، وقد صور هذا الدرس في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي لم يتعرض القرآن الكريم لذكر اسمه ، والقصة معروفة في سورة « الكهف » ، ومغزاها : أن يعرف المسلمون أن وراء ظواهر الأشياء بواطن تحمل أسرارا دقيقة ، وحكما خفية ، لا يدرك كنهها العقل البشري ، ولا يصل إلى غورها الفكر الانساني ، فيجب أن نعتقد الحكمة في أفعاله عز وجل ، والخير في تصاريف شئونه ، وإن غابت عنا حكمه ، وخفيت على عقولنا أسراره .



للاستاذ/ عمر حافظ سليم عاصي

لقد اقتضت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يوجد بين أفراد المجتمع تفاوت في فهم الدين ، فمنهم من يسوء فهمه للدين فهو يحتاج إلى اقناع ، ومنهم من يفهم ولكنه ينسى فهو يحتاج الى تذكير ، ومنهم من ينحرف فهو يحتاج الى تقويم .

لذلك فقد شرع الله تعالى مبدأ إسلاميا هاما ، الا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعله واجبا من أعظم الواجبات الدينية .

قال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ١٠٤/ آل عمران

وجعله أيضاً من أهم أسباب أفضلية الأمة الاسلامية على غيرها من الأمم .

فقال تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » ١١٠/ آل عمران .

وأخبر الله تعالى أنه صفة من صفات المؤمنين ودعامة من أهم دعامات مجتمع

الايمان فقال ـ عز من قائل ـ « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز ٧١/ التوبة .**

كما اهتمت السنة النبوية الشريفة بهذا المبدأ اهتماما كبيرا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوة للأخذ به ، ومن ثم فقد أكد على القيام به تأكيدا شديدا ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :ـ

« والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » رواه الترمذي وحسنه .

أدلة فرضيته :ـ

يستدل على فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكتاب والسنة والاجماع .

١ ـ قال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ١٠٤/آل عمران .

٢ ـ وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان » رواه مسلم .

هل هو فرض كفاية أم فرض عين ؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية كما ذهب البعض الآخر إلى أنه فرض عين .

وفي الحقيقة أن نوعية الفرضية في ذلك تتوقف على معنى « من » في قول الله تعالى :ـ « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » ١٠٤/آل عمران .

وفيما يلي نورد آراء العلماء في تلك المسألة :ـ

١ ـ قال أبو حيان في كتابه « البحر الميط » :ـ

« الأمر متوجه لمن يتوجه الخطاب اليهم ، قيل هم الأوس والخزرج على ما ذكره الجمهور وأمره لهم بذلك أمر لجميع المؤمنين ومن تابعهم الى يوم القيامة ، فهو من الخطاب الخاص الذي يراد به العموم ، ويحتمل أن يكون الخطاب عاما فيدخل فيه الأوس والخزرج .

والظاهر أن قوله « منكم » يدل على التبعيض ، وقاله الضحاك والطبري ، لان الدعاء الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يصلح إلا لمن علم المعروف والمنكر ، وكيف يرتب الأمر في إقامته ، وكيف يباشر ، فان الجاهل ربما أمر بمنكر

ونهى عن معروف ، وربما عرف حكما في مذهبه مخالفا لمذهب غيره ، فينهى عن غير منكر ، ويأمر بغير معروف ، وقد يغلظ في مواضع اللين وبالعكس ، فعلى هذا تكون « من » للتبعيض ، ويكون متعلق الأمر ببعض الأمة وهم الذين يصلحون لذلك .

٢ ـ وقال الزجاج في كتابه « معاني القرآن واعرابه » :ـ« ومعنى (**ولتكن منكم أمة**) ـ والله أعلم ـ ولتكونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف ، ولكن « من » تدخل هاهنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس ، وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ، ومثل هذا من كتاب الله (**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**) الحج/ ٣٠ ليس يأمرهم باجتناب بعض الأوثان ، ولكن المعنى : اجتنبوا الأوثان فانها رجس . ومثله من الشعر قول الشاعر :ـ

أخو رغائب يعطيها ويسألها   يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

اي هو النوفل الزفر ، لأنه قد وصفه باعطاء الرغائب ، والنوفل : الكثير الاعطاء للنوافل والزفر : الذي يحمل الأثقال .

والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جل وعلا :ـ (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) آل عمران/ ١١٠ وجوز أن تكون أمرت منهم فرقة لأنه في قوله تعالى (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**) ذكر الدعاة إلى الايمان والدعاة ينبغي أن يكونوا علماء بما يدعون إليه ، وليس الخلق كلهم علماء ، والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض ، وكذلك الجهاد .أ . هـ بعد هذا العرض لآراء العلماء في بيان « معنى » « منكم » في الآية الكريمة أقرر أن الرأي القائل بأن « من » للتبعيض هو الأولى بالقبول إذ على أساسه يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، وهذا هو مذهب الجمهور كما أن ظواهر النصوص تؤيد ذلك ، وهناك من الأدلة العقلية ما يؤيد صدق ذلك أيضا حيث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أناس يعلمون حقيقة ما يأمرون به وما ينهون عنه ، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى دراسة واعية وفهم عميق لمسائل الدين ، وليس ذلك في مقدور كل الناس .

إلا أنه ينبغي علينا أن نعرف ـ أن تغيير المنكر بواسطة القلب فرض عين على الجميع لأنه في مقدور كل الناس واستطاعتهم إذ أن معناه : كراهية المنكر وكراهية فاعله كراهية من القلب .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :ـ « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »رواه مسلم في صحيحه

قال ابن تيمية : « فأما القلب فيجب بكل حال ، إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس بمؤمن ، كما قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « وذلك أدنى ـ أو أضعف ـ الايمان » ـ وقال : « وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وقيل لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ من ميت الأحياء » فقال : الذي لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا »

من آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هناك مجموعة من الآداب يجب ان تتحقق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نذكر منها ما يأتي :ـ

١ ـ أن يكون الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر عالما بما يأمر وعالما بما ينهي ، وذلك يحتاج إلى دراسة واعية وإحاطة تامة بأصول الدين وعلومه المختلفة

٢ ـ أن يكون حليما صبورا على الأذى ، كما قال لقمان لابنه **(وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور)** ١٧/لقمان .

كما يجب أن يكون رفيقا . فالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه » وفي رواية : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم والقدوة في الرفق والحلم والصبر هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أخذ قومه بالرفق مصداقا لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** ١٢٨/التوبة .

كما أنه صبر على أذاهم ومقاطعتهم ، وكان دائما يلجأ إلى الله ويستعين به فكتب الله لدعوته النجاح .

٣ ـ أن يكون قدوة بحيث يطبق على نفسه قبل أن يأمر غيره أو ينهاه :

ولعل هذا الشرط من أهم الشروط التي يجب أن تتحقق في الداعية ، وإلا كان ممن قال الله فيهم : **(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون.كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)**٢ ، ٣/ الصف .

وكثير من الناس تسمع منهم كلاما حسنا فاذا ما بحثت عن أفعالهم وجدتها لا تمت إلى هذا الكلام بصلة فإليهم أوجه هذا الكلام من باب التذكير : ـ

ألم تعلموا أن ذلك يشكل خطورة كبيرة عليكم وعلى مجتمعكم ، إن الله تعالى أنكر ذلك على أمثالكم حينما قال ـ موجها الخطاب إلى بني اسرائيل ـ **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)** ٤٤/البقرة .

إن عقاب من يرتكب هذا الفعل عقاب شديد ، فلقد صوره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في حديثين من أحاديثه تصويراً تقشعر منه الأبدان .

أما الحديث الأول : فعن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول :ـ « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتابه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان مالك ، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عن المنكر وآتيه » رواه البخاري ومسلم .

وأما الحديث الثاني : فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :ـ

« رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون ؟ » رواه ابن حبان في صحيحه .
وها هو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ يأمر بتعليم النفس قبل تعليم الغير فيقول : من نصب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومهذبهم » .
ولا يفوتني في هذا المقام أن أسوق موقفا رائعا من مواقف الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ لقد جاءه عبيد البصرة ذات يوم وقالوا له : يا تقي الدين ، لقد أساء سادتنا معاملتنا وقست علينا قلوبهم ، وجئنا إليك لتكون خطبتك في الجمعة القادمة الحث على عتق الرقاب ، ولبى ـ رضي الله عنه ـ رغبتهم ووعدهم خيراً ، ومضت جمعة وجمعة ، والحسن لا يخطب فيما كلموه بشأنه .
وفي جمعة من الجمع خطب الحسن عن عتق الرقاب ، فما من أحد سمعه في المسجد إلا خرج وأعتق عبده .
فلما تحرروا من الرق اجتمعوا في بيت الحسن وقالوا له : يا تقي الدين جئنا معاتبين . قال : ففيم العتاب ؟ قالوا : ما الذي أخرك هذه الأسابيع وأنت تعلم أننا كنا في مسيس الحاجة إلى التعجيل بالكلام في هذا الموضوع ؟
فقال لهم الحسن : إنما أخرني أنني كنت لا أملك عبداً ، ولم يكن معي ما أشتريه به . فلما رزقني الله مالا اشتريت عبداً وأعتقته ، فلما خطبت الناس ودعوتهم إلى عتق الرقاب وجد الكلام استجابة في قلوبهم لأنني طبقت على نفسي ما أمرت به غيري .
هذا ولقد كان الشاعر العربي صادقا حين قال ـ مقرعا من يخالف قوله فعله :ـ

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى	بالعلم منك وينفع التعليم

٤ ـ على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون شجاعا في مواجهة الظلم والجور مقتديا بقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه أبو داود والترمذي وحسنه .
وعليه أيضا أن يكون فطنا في نصحه لأولياء الأمور ، فعليه أن يعرفهم ويعظهم متجنبا ما يحرك الفتنة ويهيج الشر .

عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :ـ

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حينما فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما

فرضه لمصلحة العباد حيث يجدون فيه الأمن ويشعرون بالأمان وينعمون بالاستقرار بسبب إعلان المعروف والقضاء على المنكر .

فإذا ما أهمل العباد ذلك حل الخوف بدلا من الأمان وساد الاضطراب بدلا من الاستقرار وكان في ذلك هلاك الأمة .

ولقد صور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك العاقبة في حديث من أحاديثه تصويراً عمليا حين قال :ـ

« مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » رواه البخاري ومسلم .

وهكذا نجد أن الهلاك هو عاقبة عدم الأخذ على أيدي الشذاذ والمفسدين الذين لا يحسنون التصرفات فيسيئون في العمل ويتحللون من الخلق ويلغون العقل .

ولقد كان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبب في أن لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:

« إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : (**لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم .. الى قوله « فاسقون » ، المائدة /٧٨ ـ ٨٠ ثم قال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا أو ليضرب الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم » رواه ابو داود .**

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشيع الفاحشة في الناس وتنتشر الرذيلة بينهم انتشار النار في الهشيم ، وبذلك تعاني الأمة من كثير من الأزمات في كل مجالات الحياة من سياسة واقتصاد وتعليم وصحة وغير ذلك .

وذلك لأن الفساد حينئذ لا يجد من يقاومه ، والظلم لا يجد من يقف في وجهه ويضع له حدا فينطلق أهل الظلم والفساد يعربدون ويخربون ويستعبدون دون أدنى مبالاة .

يقول الامام أبو حامد الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » :ـ

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم

الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة وعمت الفتنة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفتنة ، وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ، ومتشمرا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها » احياء علوم الدين ج ٢ ص ، ٣٠٢

متى يترك هذا الواجب : **هناك حالات يباح للمرء فيها أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها :-**

١ - إذا علم الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر عدم قبول أمره ونهيه والانتفاع بهما فحينئذ يترك الأمر والنهي ويلتزم بأمر نفسه .

ونستدل على صدق ذلك بما ورد عن ثعلبة الخشني أنه قيل له : كيف تقول في هذه الآية : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) المائدة/ ١٠٥ قال : سألت عنها خبيرا ، أما والله لقد سألت عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال « بل ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام » رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي .

٢ - إذا آلت الأمور إلى غير أهلها وساء حال الأمة ووصل إلى درجة من الفساد لا يجدي معها أمر ولا نهي ، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : سأل رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

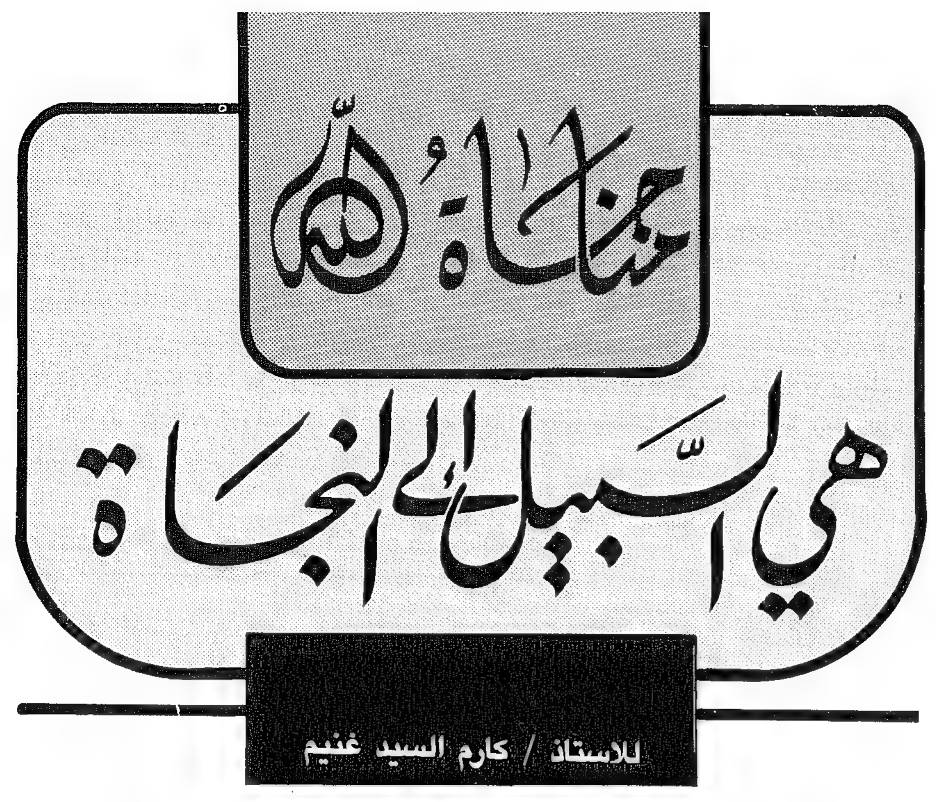
فقال : إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم ، قلنا يا رسول الله : وما ظهر في الأمم قبلنا قال : الملك في صغاركم ، والفاحشة في كباركم ، والعلم في رذالكم » رواه ابن ماجة .

قال زيد بن يحيى الخزاعي :

« يعني أن يكون العلم في الفساق ، فالعالم الفاسق لا يتورع عن التقرب لأهل الفواحش من الكبراء وإفتائهم بغير ما أنزل الله طمعا في دنياهم »

وختاما :

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله ، وبالله التوفيق .



شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يجعل الحياة الدنيا محل ابتلاء ومحك اختبار بين الناس حتى يستبين المفسد من المصلح والمسيء من المحسن ، ومن هو أهل رضوانه وجنته ، ومن استوجب مقته وعقابه . وشاءت رحمته تعالى ألا يتركهم في متاهات الدنيا ضائعين ضالين ـ بل هيأ لهم الأرض وهداهم السبيل وعلمهم الأسماء والمدلولات وخلق لهم ما يحملهم وأثقالهم ، وخلق لهم مقومات حياتهم جميعا مما يأكلون ويشربون وما يتنفسون وما يستمتعون به من كل طيب جميل . وبرغم كل هذا ، فلازالت عقول البشر قاصرة عن أن تدرك كنه الاشياء والأحداث تعتورها العثرات والمشكلات وتعترضها معضلات الأمور وشدائدها ، فتقف أمامها شاردة لاتدري للضائقات حلا ولا ترى منها مخرجا وتضيق قدراتها عن نيل مراداتها ـ فتتأزم النفس وتتصاعد غيظا واختناقا وهما ، فماذا تفعل إن ألمت بها عوامل الهدم هموما وأحزانا ومخاوف ، وأسدلت الغموم أستارها وادلهمت الخطوب واستبدت الحيرة وضاقت الدنيا ـ لا تملك الا أن تلجأ الى خالقها فهو العليم بخلقه ، القدير في كل مراده ، مالك الملك كله المهيمن على الشأن كله ، القائم على كل نفس ، العزيز الحكيم القاهر فوق عباده ، الفعال لما يريد ـ يبسط يده لعباده وخلقه بالرحمة وكان بهم عليما خبيرا وبضعفهم بصيرا : (**وخلق الانسان ضعيفا**) النساء / ٢٨ .

ومن هنا لم يستغن بشر عن الهه وخالقه ، يلجأ اليه في الملمات ، ويجأر اليه في الضائقات ، ويسأله دواما الحاجات ، ويستكثره النعم والعطاءات ، ويضرع

اليه إن انتابه الهم أو أصابه الغم أو امتدت به الحيرة ، فكأن سؤال الرب ضرورة من الضرورات وبديهة من البديهات ، وكما أنه لا غنى لطفل عن ثدى أمه وحنانها فلا غنى لمخلوق عن خالق حنان منان ، يعطف ويرأف ، ويعطي بغير حساب ، لا تنفد خزائنه ، ولا ينقطع جوده ، ولا يمل عطاء وكرما ، فماذا لو كان قدره تعالى أن خلقنا فتركنا لأنفسنا نحيا حياة الغاب فرائس يقتل بعضنا بعضا - فلا غنى إذاً عن رب عظيم نعبده ونتقرب اليه بالطاعة والتحبب والزلفى ، فيحيطنا باللطف وبالعناية ويفتح بابه لشكوانا وتضرعاتنا ، ونلجاء اليه في أزمـتنا وملماتنا ونطلب منه المزيد لمطامعنا وآمالنا ونسأله قوة فوق قوتنا وطاقة فوق طاقتنا وبصيرة تهدينا ، ونورا يضيء لنا .

* كيفية الضراعة الى الله ومناجاته :

في أنفسنا ونبضات قلوبنا وفي كل شيء من حولنا نرى آلاء الله وآياته ووجوده وبقاءه - لا نرى ذاته تعالى لأنه فوق السمع والبصر والحواس كلها ، لا مثل له : (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**) الشورى / ١١ : (**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**) الأنعام / ١٠٣ . فكيف نخاطبه وكيف نبلغ مناجاته جل وعلا ، لا سبيل الى ذلك الا بما علمنا هو ذاته في كتابه المنزل وبلسان نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، ففيه أدب الخطاب وحسن التعبير وجوامع الكلم وتمام المقاصد ، وفيه من قبل تطهير النفس وتزكيتها لتصبح خليقة بمناجاة ربها وبتجلي رضوانه عليها واستجابته لضراعتها .

* علل النفس في معترك الحياة :

صبغة الله في الكون أن جعل الحياة فيها تنافسا وصراعا ومغالبة : (**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**) البقرة / ٢٥١ ، (**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا**) الزخرف / ٣٢ ، (**و في ذلك فليتنافس المتنافسون**) المطففين / ٢٦ فاذا ضعفت همم بعض الناس عن المقاومة والصمود لمعتورات الحياة وعن مجابهة معتركها ، وأصاب الخور نفوسهم ، تنازعتها الانفعالات والتأثرات بما يصيبها من أمراض وصراعات نفسية داخلية وعصبية تفقدهم شخصياتهم وتنهار معها عزائمهم وتنهدم بها كياناتهم .

* الاضطرابات النفسية تسبب أمراضا عضوية :

إذا كانت الهموم والأحزان تولد اضطرابات نفسية ، تؤدي بدورها الى

أمراض عضوية عديدة مثل مرض السكر ، وضغط الدم وزيادة إفراز الغدة الكظرية (الأدرينالين) فتتضاعف الانفعالات وتؤدي الى آثار خطيرة ، كما أن الانفعالات النفسية الحادة تسبب تهيج العصب الحائر الذي ينجم عنه الاصابة بقرحة المعدة ، وقد تحدث تغيرات في الأوعية الشعرية للعيون يتخلف عنها بياض مصحوب بضياع البصر (الجلوكوما) ، وقد ثبت حديثا أن الحزن الشديد والتوتر العصبي الانفعالي والقلق - إن جاوز الحد - يؤثر تأثيرا مباشرا على الإبصار ، يؤيد ذلك قول الله تعالى : (**وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم**) يوسف / ٨٤ ، كما قد تؤدي هذه الاضطرابات الى اجهاض الحامل والى الشيب المبكر واختلال الافرازات الغددية في الجسم عموما .

إن انتشار الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية يتزايد يوما بعد يوم مواكبا ركب التقدم الصناعي والتكنولوجي في حياة البشر ، لأن وسائل الرفاهية التي يلهث الناس في سبيل تملكها واقتنائها متباهين بها هي في حد ذاتها وسائل مؤدية الى اصابة الانسان بأمراض الضعف العضلي وبالخمول والكسل وعدم القدرة على التصدي للأعمال الكبيرة أو إتمام الأعمال الموكولة اليه بجد ، ثم الشعور بالملل والسآمة التي تفقده لذة الحياة . يقول الدكتور جوبر : (إن القلق يجعل العصارات الهاضمة تتحول الى عصارات سامة تؤدي في كثير من الأحيان الى قرحة المعدة) ، وعبر عن ذلك أيضا د . ج . مونتاجي بقوله : (إن قرحة المعدة لا تأتي مما تأكله ولكنها تأتي مما يأكلك) يقصد بذلك القلق والاضطراب .

إن من أوسع مجالات الصراع حاليا بين أفراد الجنس البشري الصراع على المال : فقد أثبتت البحوث العلمية أن أكثر حالات الانتحار والجنون والانهيار النفسي مرجعها ذلك الصراع على تملك المال أو المتعة . وقد نشرت إحدى المجلات إحصائية تؤكد أن ٧٠٪ من أمراض الاضطرابات النفسية مرجعها صراع البشر على المال .

* خطورة الاضطرابات النفسية :

لقد أصبح من الواضح أن العقد النفسية ليست وهما ، كما أن الألم والظواهر التي تصاحب هذه الاضطرابات أشد من الأمراض العضوية ، حتى ولو ماثلتها في الأعراض ، وكثيرا ما تسبب هذه الاضطرابات الصداع والدوخة واضطرابات القلب وغيرها . ويقرر علماء الطب النفسي أن من أمراضها الانطواء على النفس (النكوص) ، ولها أعراض مرضية قد تتفاقم عن **المرض السوداوي** وأعراضه الكآبة والخوف والتشاؤم وعدم الرغبة في الحياة والشعور بالرغبة في الانتحار الذي كثيرا ما يلجأ اليه المريض ليتخلص من حياته كما أن من مضاعفات

الانطواء أيضا **مرض الأنفصام** الذي يظهر في سن المراهقة ، وأعراضه أعراض المرض السوداوي بالاضافة الى احساس المريض بأنه يعيش في عالم يفقد واقعيته وحقيقته . وكذلك من المضاعفات أيضا **الجنون الهذائي التأويلي** .

* أسباب الأمراض النفسية :

لعل من أهم الأسباب ما يلي :

(١) **الاسراف وتعجل احراز النجاح والمكاسب** : يقرر علماء الطب النفسي أن أهم وأخطر أمراض العصر الحديث المنتشرة إنما هو نتاج الاسراف ، وهي أمراض أصبحت ملازمة للانسان في الحياة المعاصرة . لأن تعجل الأمور يستلزم الإسراف في بذل الطاقة بما يصاحبه من انفعالات تعد من أسباب الاضطراب النفسي ، فلقد أثبتت الدراسات أن اسراع الانسان في حياته وتعجله للأمور دون روية في أوقاته يؤدي الى عدم تحقيق ما يصبو اليه برغم تحميله نفسه فوق طاقتها فينعكس ذلك على الصحة بالأضرار .

(٢) **الغضب** : تشير الأبحاث الى أن معظم أمراض القلب والشرايين تنتج من الغضب المباشر ذلك أن حالة الانسان التي يكون عليها في أثناء غضبه كفيلة بتغيير حالته النفسية واختلالها .

(٣) **أسباب أخرى** : بالاضافة الى ما أوردناه فان من الأسباب أيضا : **رتابة الحياة** ، فالحياة الرتيبة المتوالية التي تسير على منوال واحد تؤدي الى الشعور بالملل والسآمة وغيرها من ألوان الآلام في النفس البشرية . ومنها أيضا **أنعدام الثقة بالنفس** ، فانه يؤدي بصاحبه الى الإصابة بعدة أمراض نفسية تصل الى درجة الجنون أو الموت . ومنها أيضا **الطمع والجشع والتمرد** ، فكلما حقق الانسان هدفا طمع في تحقيق آخر ، وكلما أصاب مأربا تطلع الى غيره ، وهكذا يقضي الانسان حياته متنقلا من رغبة الى أخرى ، وهو في غمار هذه الحياة اذا فاتته رغبة تحسر عليها وندم فيخلف ذلك في نفسه أمراضا ولو لم يشعر .

* القواعد الأساسية في علاج الأمراض النفسية :

أولها وأهمها : **الايمان بالله** ، فهو الوقاية والعلاج معا ، لأن الايمان بالله ذاتا وصفات وأفعالا يجعل المرء في أمن على نفسه وأمن على رزقه وأمن على مستقبله ، ولأن الايمان بالله يمحو من العبد الشعور بما فرط وقصر ، وذلك لأن الله سبحانه غفار الذنوب ويقبل التوبة من عباده ، كما أن الايمان بالله يجعل الانسان لا يأسى على ما فاته ولا يحزن على أمل لم يتحقق ، يقول الله تعالى « **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** » الحديد / ٢٣ . وفي هذا يقول الشيخ الشعراوي إن الحق سبحانه يوجه الانسان الى ألا يعيش حدثا ما في غير زمنه ، فلا

يظل الانسان أسير ما فات من أحداث ،وليكتف من القديم المنصرم بالعبرة ، وعلى الانسان أيضا أن ينظر الى كل نعمة أنعم الله عليه بها فيوجهها فيما يرضى الله ولا يترك لنفسه قيادها في صرف النعم في غير مصارفها السليمة فقد تكون النعمة في حد ذاتها نقمة إذا ألهت العبد عن ربه أو صرفها في غير ما يرضي ربه .

وتتوالى البحوث والدراسات العالمية مؤكدة أن الايمان بالله هو أعظم وسائل القضاء على الاضطرابات العصبية والانهيارات النفسية ، فهذا وليم جيمس ـ أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول : (ان أعظم علاج للقلق ولاشك هو الايمان) . ويقول د . بريل :(إن المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا) . ويقول ديل كارينجي : (إن أطباء النفس يدركون أن الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي ، وأن يشفيا هذه الأمراض) .

(أ) الايمان بالله رازقا :

إن الانسان حين يعتقد أن الله سبحانه هو الرازق ، وأنه ـ وغيره من الكائنات ـ قدر الله لهم الرزق : (**الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز**) الشورى / ١٩ : (**والله يرزق من يشاء بغير حساب**) البقرة / ٢١٢ ، (**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**) الذاريات / ٥٨ ، (**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**) الرعد / ٢٦ ، حينما يعتقد الانسان ذلك فكيف يطغي على غيره أو يطمع فيما عنده أو يحقد أو يحسد . وليست هذه دعوة الى الكسل أو القعود عن السعي ، وانما هي دعوة الى النشاط الدائب يقرن الانسان فيه الأخذ بالأسباب بالاعتصام بمسبب الأسباب وخالقها .

(ب) الايمان بالله عليما وسميعا وبصيرا :

إن الانسان حينما يعرف أن الله سبحانه هو العليم الذي لا يعلو على علمه علم ، وأنه علام الغيوب ، وأنه خالق العلوم وموهبها (**إن الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور**) فاطر / ٣٨ ، (**إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون**) الحجرات / ١٨ ، حينما يعلم الانسان ذلك ويطمئن اليه فانه بلاشك يبرأ من أمراض نفسية اعترته ويقي نفسه من أمراض أخرى تكاد تنزل به .

(جـ) الايمان بقضاء الله وقدره :

إذا اطمأن الانسان الى حكمة الله سبحانه في كل الأمور حلوها ومرها ، فما

من مكروه يلم به الا كان تكفيرا عن ذنب أو اختبارا من الله للعبد ، فان اجتازه كان له كسبا ورقيا ، وان فشل في مواجهته باء بالخسران ، وإذا علم الانسان أن الله لا ينزل به الا ما يصلحه ، فان الانسان لا محالة سيعيش مستقر النفس قرير العين في دنياه خالي البال من الهموم والأحزان . يقول الامام ابن القيم في هذا الشأن ما خلاصته : (١) على المؤمن أن يتمثل دائما قول الله تعالى (**وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) البقرة / ١٥٥ ـ ١٥٧ ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه أحمد وابن ماجه عن أبي سلمة : (ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وانا اليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها ، الا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها) .

(٢) على المسلم أن يعلم أنه وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة ، وأن كل ذلك وديعة لله عند العبد ، فان أخذ وديعته وقتما شاء فله ما أراد . (٣) على العبد أن يعلم أنه تارك الدنيا لا محالة وذاهب الى ربه وحيدا ـ كما خلقه أول مرة ـ بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولا جاه ولا سلطان ولا عز ولا زخرف ، وانما فقط بما قدمه من أعمال صالحة أو سيئات وذنوب ، فاذا كانت الدنيا هذا شأنها فكيف للانسان أن يفرح بموجود ويأسى على مفقود . (٤) على الانسان أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه من مصيبة أو ما حاق به من مكروه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وذلك مصداق قول الله : (**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور**) الحديد / ٢٢ ـ ٢٣ ، (٥) اذا نظر المصاب الى مصيبته وجد أن نعم الله الباقية أكثر مما ابتلى به أو فقده ، ثم ان الذي ادخره الله له ـ إن صبر ورضى ـ ـ أجر يفوق ما فاته أضعافا كثيرة .

(٦) على الانسان أن يعلم أن سنة الحياة الدنيا التغيير والتبديل ، وانها ان أضحكت قليلا أبكت كثيرا .

(٧) على الانسان أن يعلم أن الجزع والفزع والهلع لا يرد المصيبة ، بل يضاعف أضرارها .

(٨) وعليه أن يعلم أنه بجزعه وفزعه وهلعه يغضب ربه ويفرح عدوه وهو الشيطان .

(٩) وعليه أن يعلم أن في الجنة بيتا يسمى (بيت الحمد) لكل حامد ربه في الدنيا برغم ما ينزل به .

(١٠) وعليه أن يعلم أن كل شيء له عوض الا الله ، إن فقده العبد فلا يمكن أن يجد له عوضا .

(١١) وعليه أن يعلم أن ما يحل به لا يعد دلالة على غضب ، وانما يكون ابتلاء له ، روى أحمد والترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط » وفي رواية أحمد زيادة

(ومن جزع فله الجزع) .
(١٢) وعليه أن يعلم أنه إن لم يصبر صبر الكرام فهو لا محالة صابر في النهاية ولكن صبر اللئام وهو صبر غير مأجور عليه .
(١٣) وعليه أن يعلم أن لكل شيء دلالة وحب العبد لربه دلالته الصبر على ما ينزله الله به من ابتلاءات فيحب ما أحبه الله وما قضاه .
(١٤) وأخيرا : ليعلم المسلم أن الحياة الدنيا مكابدة والقابض فيها على دينه كالقابض على جمر النار ، فالضلال يستشرى والأوثان قديمها وحديثها تعبد من دون الله ، والسعي في إفساد عقائد المسلمين له حملات ومنظمات ، فليسمع المسلم قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » .

* عقدة الشعور بالذنب :

لا تسلم حياة المرء من زلات تحدث منه أو سقطات يقع فيها أثناء خوضه غمار الحياة العاتية فيعصى ربه حيث يقع في الذنوب ، ويزداد أثرها ويعظم ضررها كلما ازدادت هي حجما ولكن الانسان يتصارع ضميره مع نفسه بما يؤرقها ويمرضها بسبب استدامة مثول الذنب أمام عينيه وتصور ضخامة العقاب الذي سوف يحل به ، فتظل الحياة هكذا في قلق واضطراب يؤديان به الى أمراض نفسية خطيرة واختلف الناس في علاج هذه العقدة وتنوعت آراؤهم وتعددت أفكارهم ونسوا أن كتاب الله الخالد الذي أنزل على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام منذ خمسة عشر قرنا من الزمان قد احتوى على أمثل الحلول لمشكلات الدنيا بأسرها معروضة تصريحا أو تلميحا . ويجمل بنا قبل أن نعرض وسائل القرآن في علاج مثل هذه الاضطرابات النفسية ، أن نعرض أهم أفكار الملحدين وطرائق العلمانيين في هذا المجال ، ثم ندحض ذلك بالاعجاز القرآني الخالد أبد الدهر .

* رأي فرويد ومدرسته في العلاج بالتحليل النفسي :

فرويد يهودي الدم نمساوي الجنسية ، عاش وقتما تعصبت الدولة ضد اليهود في كافة أرجائها ، ولقد أجمعت الأبحاث التي كتبها صديقه د . أرنست جونز على أن فرويد نفسه لم يكن سوي الطبيعة أو الصحة ، بل كان عرضة للاغماء اثر بعض المفاجئات ، وكانت مرارة الطبع خلته في علاقاته بغيره ، وكانت له صنوف من القلق تنم عن حيرة مكتومة باطنة ، ودارت كل أفكاره في فلك واحد طابعه محاربة العقائد الدينية والتقاليد الخلقية ، هذا الرجل كان في حد ذاته مجموعة من العقد النفسية حتى آخر حياته ، فمن هذه العقد : خشية السفر

بالقطار ، دوام العزلة ، البول في طفولته ، النسيان لأقرب الأشياء لديه حتى اسمه ، الى غير ذلك من العقد النفسية .

افترض فرويد أن الشهوة الجنسية هي الحافز الأول لنشاط الانسان ، وهو يضع بافتراضه هذا قاعدة خطيرة هي : إعلاء الجانب الغريزي في الانسان ، ثم يرد كل العوامل اليه تحت اسم (حيوانية الانسان) . ويمضي فرويد فيقرر أن الانسان في جوهره : حيوان كغيره من الحيوانات ، وأن غرائزه وميوله الفطرية وحاجاته العضوية هي أساس سلوكه في الحياة .

تقوم فكرة فرويد في العلاج بالتحليل النفسي على أساس أن الأمراض النفسية تحدث نتيجة كبت لرغبات الغرائز الجنسية ، تلك التي لا يقر الدين إشباعها دون ضوابط ، ولا يسمح المجتمع أو العرف بشيوعها ، فيضطر صاحبها الى كبتها في العقل الباطن بقصد إخفائها أو تجاهلها ، ولكنها لسبب ما تحاول الظهور في نفس الوقت الذي يحاول فيه كبتها ، فيدور الانسان هكذا بين الكبت ومحاولة الظهور ، وينشأ عن ذلك صراع مرير يؤدي الى مرض نفسي بسيط أو عنيف .

هذه النظرية (أو الطريقة) نعتبرها فاشلة مهدومة من مواقع : **أولها** : أن المجتمعات الأوربية والأمريكية والشيوعية تبيح الاشباع الجنسي بكافة الأشكال ، حتى اللواط (الشذوذ الجنسي) شاع تمردا على الزنى الذي سئمه أهل هذه البلاد . كما أن الانتحار أنتشر بشكل ملحوظ هناك على الرغم من هذا الاشباع الجنسي واطلاق الغرائز بلا ضوابط أو قانون ، حتى لتجد أكثر الدول اباحية ـ كالدول الاسكندنافية ومنها النرويج والسويد ـ أكثرها شيوعا للانتحار ، فلو أن نظرية فرويد في العلاج النفسي صحيحة لما عجت هذه المجتمعات بالأمراض النفسية ، ولما شاعت العيادات والمصحات النفسية .

وثانيها : انتشار مرض الاكتئاب ذلك الذي لم يجد أتباع فرويد حلا أو علاجا له غير العقاقير الطبية والصدمات الكهربية ، مما يدل على فشل طريقتهم في العلاج النفسي .

وثالثها : شهود كثير من رجال الطب النفسي في بلاد الغرب وشهد شاهد من أهلها بعدم صحة هذه الطريقة العلاجية ، حتى قال كثير من الباحثين في الغرب وغيره إن فرويد أقرب الى المنجمين منه الى العلماء ، ذلك لأنه يلقي بآرائه ونظرياته دون أن يقيم عليها البرهان العلمي أو السند الواقعي ، بل هي في أغلبها تقوم على الافتراض ، ثم تصديق ما يفترض ، فيبنى عليه وكأنه حقيقة علمية . فلم يجر فرويد تجربته الا مع مرضى وشواذ ومصابين ، وليس مع الأصحاء الأسوياء ، وإنه لمن الجدير بالذكر أن الدافع الجنسي يأتي بالمرتبة الدنيا بعد دوافع طلب السلطان أو الرفاهية أو غيرها ، كما أنه من الجدير بالذكر أيضا أن الدافع الجنسي يخضع للتربية بمعنى ترويضه على العفة ، وليس أعظم من الاسلام نظاما عالميا في هذا الشأن تربية وضبطا وترشيدا .

* خطوات العلاج النفسي بطريقة فرويد ونقدها موضوعيا :

تتلخص هذه الطريقة في أن يسترخي المريض تماما (مستعينا في ذلك بالعقاقير الطبية المهدئة) ومن ثم يتحدث المريض عن كل ما في نفسه الى الطبيب المعالج بصوت مسموع ، فيكشف عن أخطائه وذنوبه فيشعر بها في الوعي بعد أن كانت مترسبة في أعماق نفسه ، فيحدث صلح بين النفس والضمير ، فيكف الضمير عن لوم النفس ، فتتحسن بذلك حالة المريض حتى يبرأ من مرضه .

أما عن نقد هذه الطريقة فنقول :

أولا : في طريقة العلاج بالتحليل النفسي يجلس المريض ليعترف لطبيبه المعالج بأخطائه وذنوبه وهمومه ومشكلاته ، على الرغم من أن الطبيب مخلوق مثله لا يملك له نفعا ولا ضرا ، بينما يتوجه الانسان الى الله بالتوبة والاستغفار مع الاعتقاد بأنه وحده هو العفو الغفور الذي يتجاوز عن الذنوب والخطايا .

ثانيا : يسحب الاعتراف من المريض سحبا بالاستعانة بالعقاقير المهدئة أو المخدرة ، بينما في التوجه الى الخالق العظيم العليم بخفايا الأمور وسرائر الانسان ، يشعر الانسان بضآلته وضعفه أمام الله فيبث اليه ما يشتكي وما يجد في نفسه طواعية واختيارا .

ثالثا : تحتاج طريقة العلاج الفرويدية الى أمور كربط ميعاد مع الطبيب وانتظار الدور وعدم تفرغ الطبيب في بعض الأحوال إن لم يكن أكثرها ـ أو عدم العثور عليه وقت احتياجه ، بينما في التوجه الى الله يملك الانسان الميعاد ويجد ربه أنى طرق بابه في أي وقت وأي مكان « **وهو معكم أينما كنتم** » الحديد / ٤ .

رابعا : إذا وصل المريض الى الشفاء بهذه الطريقة الفرويدية فانه تبقى ماثلة أمام عينيه مشكلة أخرى هي عدم الطمأنينة بأن الله قد عفا عنه فيما قدم من ذنوب وخطايا ، بينما اذا توجه ذلك المريض الى خالقه مباشرة مناجيا إياه باثا شكواه مستغفرا من ذنوبه تائبا من خطاياه فانه يضمن الأمرين معا الشفاء والعفو من الله : (**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**) النساء / ١١٠ ، (**واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم**) الأنعام / ٥٤ .

خامسا : لا يمكن أن يعد الطبيب النفسي مريضا بالشفاء المحقق ، بينما الرجوع الى الله واللجوء والتوجه اليه ومناجاته سبحانه يتحقق معها الشفاء الكامل ، وذلك قول الحق تبارك وتعالى : (**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم**) الزمر / ٥٣ ، (**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم**) المائدة / ٣٩ .

سادسا : اذا كان العلاج بالطريقة الفرويدية لا يضمن شفاء من سقم ولا برءا من

مرض فان التوجه الى الله والرجوع اليه ومناجاته لا تضمن الشفاء الكامل فقط وإنما تضمن قدرة المؤمن على مواجهة شدائد الحياة ومغالبة أمواجها العاتية فيما يستقبله من أحداث ، ذلك لأنه يعتصم بقول الحق : **(وأصبر وما صبرك الا بالله)** النحل / ١٢٧ .

سابعا : إنه لمن المعروف أن درجة الثقة بين المريض وطبيبه المعالج تتدخل الى حد كبير في شفائه وبرئه ، وإنه لمن الواضح أن هذه الدرجة تصل الى منتهاها اذا كان المريض يفضي بشكواه الى الخالق العظيم ويبث نجواه اليه سبحانه .

ثامنا : وأخيرا يجدر بنا أن نعرف أهم العوامل التي تحدد الإطار العام لنظرية فيلسوف أو فكرة مفكر ، فان منها أنه يفترض فكرته أو نظريته بناء على نظرته الشخصية الى الأمور وثقافته التي حصلها وبيئته والظروف التي أحاطت به ، ومهما بلغ المرء من تفكر ودقة نظر فانه لا يستطيع أن يخرج عن أبعاد وجوده البشري ومستواه العقلي وقدره النفسي ، لذا فهو لا محالة خاضع للخطأ والصواب ، أما الذي خلق الكون ويقوم على نظامه وهو الذي يعلم ما يصلحه فانه وحده سبحانه المشرع الأعظم والشافي الأكبر والسميع للدعاء والقريب للرجاء ، وما عدا تشريعه فأفكار من صنع المخلوقات اذا نجحت حينا فشلت أحيانا .

الوسائل العملية في علاج الأمراض النفسية :

(أ) الصلاة : الوضوء شرط لصحة الصلاة ، وهو استعداد روحي وتهيئة ذهنية للدخول في حضرة الاله الأحد ، فمع الاغتسال من العوالق الحسية يكون الاغتسال من الشوائب المعنوية فيدخل المسلم مع ربه في مناجاة يرقى بها اليه ، فتذوب معها كل الأدران النفسية التي كانت عالقة به .

(ب) الصوم : هو مجاهدة النفس ومغالبة الهوى وتوطين المرء على معارضة النزعات ومواجهة المغريات ، وبذا تقوى النفس في مجابهة شدائد الحياة ومكابدة مشكلاتها .

(جـ) الزكاة : هي مظهر من مظاهر الصحة النفسية ، وفي نفس الوقت هي وسيلة للوصول اليها ، حيث أنها تؤكد للمريض ـ أو السليم ـ تفاعله مع مجتمعه المحيط به ، وتمحو عنه الاحساس بالوحدة والعزلة ، كالصلوات الجامعة تماما .

* الوسائل الوقائية من الأمراض النفسية :

رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته زاخرة بالأدعية والأساليب التي بها يستطيع المؤمن مواجهة مشكلاته وقاية وعلاجا ، مثال ذلك :

(١) لطرد القلق والأرق : روى ابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة عن زيد بن

ثابت قال : شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقا أصابني ، فقال : (قل : اللهم غارت النجوم وهدأت العيون ، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حي يا قيوم أهدىء ليلي وأنم عيني) فقلتها فأذهب الله عز وجل عني ما كنت فيه . » رواه أحمد .

(٢) اذا اعترى المسلم كرب : روى الترمذي في جامعه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان اذا أكربه أمر قال : (يا حي يا قيوم ، برحمتك أستغيث) . وروى في سنن ابي داود عن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين ، وأصلح لي شأني كله لا اله الا أنت) . وروى الترمذي عن سعد بن ابي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(دعوة ذي النون اذ دعا ربه وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين . لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب له) .

(٣) اذا أصاب المسلم فزع : روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون) .

(٤) اذا شعر المسلم بهمّ يحاول أن يسيطر عليه : روى في كتاب ابن السني عن ابي موسى الاشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أصابه هم أو حزن فليدع بهذه الكلمات ، يقول : أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، ان تجعل القرآن نور صدري وربيع قلبي ، وجلاء حزني ، وذهاب همي) .

(٥) اذا استعصى على المسلم أمر ما : روى في كتاب ابن السني عن انس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استعصى عليه أمر - أو اذا شرع في أمر - قال : (اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن اذا شئت سهلا) .

هكذا نرى الاسلام يعالج كل أمور الحياة قل شأنها أو جل ، وما فرط الله في كتابه من شيء ، ففيه الحل الأمثل لكل المشكلات والمعضلات ، وفيه أمثل نظام لكل شئون الدنيا ، وفيه الشفاء الكافي لكل الأمراض ، وكلما دقق العالم في آياته وجد عجبا لن ينتهي بمرور الأيام والسنين . نسأل الله التوفيق والرشاد إنه سميع مجيب .

مائدة القارئ

إلى بيوت الله

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من تطهر في بيته ، ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة » .

رواه مسلم

الصيام

ليس الصيام من الشراب والطعام وحده ، ولكنه من الكذب والباطل واللغو .

في رمضان

كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول :
ذاكر الله في رمضان مغفور له ، وسائل الله فيه لا يخيب .

دعاء

اللهم لا تكثر لي من الدنيا فاطغى ، ولا تقلل لي منها فانسى ، فانه ما قل وكفى خير مما كثر وألهى

أول

أول من أسرج المسجد : تميم الداري ـ رضى الله عنه ـ في أيام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

آخر

آخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة : الراضي بالله ، وفي أيامه ضعفت الخلافة العباسية .

لغتنا

لاحظ أهل اللغة :
ان الحاء إذا أتت في آخر الكلمة دلت على الاتساع والانتشار : مثل : ساح ، باح ، صاح ، شرح ، مرح ،

وأن الكلمة المبدوءة بحرف الشين تدل على التشتت والتفرق : مثل : شتت ، شطر ، شعث ، شع ،

وأن الكلمة مثل : غابت الشمس ، غار الماء ، غطى المبدوءة بالغين تدل على الغموض : الشيء .

فكاهة

قدم أعرابي على ابن عم له بالحضر ، فأدركه شهر رمضان ، فقيل له : أبا عمرو ، لقد أتاك شهر رمضان . قال : وما شهر رمضان ؟ قالوا : الامساك عن الطعام ، قال : أبا لليل أم بالنهار ؟ قالوا : لا ؛ بالنهار . قال : أفترضون بدلا من الشهر ؟ . قالوا : لا . قال : فان لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا : تضرب وتحبس !

فصام أياما ، فلم يصبر فارتحل عنهم ، وجعل يقول :

يقول بنو عمي وقد زرت مصرهم تهيا أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومزودي سلام عليكم فاذهبوا بسلام
فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر عليّ ولا منّاع اكل طعام

من كتاب « عيون الأخبار »

مسئولية الكتابة

قال القائل

وما من كاتب إلا ستبقى كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

إلى المرأة المسلمة

أهدى المنذر إلى أمه أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها – ثيابا رقاقا – وكانت قد عميت – فلما لمستها ردتها . فقال لها ابنها : إنها لا تشف ، فقالت : إن لم تشف فإنها تصف .



شهر أغر يفوح بالأنوار   فيه الصيام مثابة الأخيار
فيه الملائك نزلت من ربها   بالخير والاحسان والاقدار
وتصفد الشيطان في أغلاله   وأناخ في قيد وذل إسار
وتفتحت فيه الجنان تحية   للصائمين وفرحة بجوار
وتزينت فيه الحياة نضيرةً   وأضاءت الجوزاء بالأقمار
يا مرحبا بصيامه وقيامه   وتلاوة القرآن والأذكار
عزت جموع المسلمين بدربه   وعلوا بحبس النفس في إيسار

* * *

يا صائما ترجو النوال وتشتهي   من ذي الجلال بوافر الأثمار
صمت النهار وكان ريحك طيبا   بشذا الصيام وعاطر الأزهار
وظللت يومك ذاكرا ومسبحا   والذكر رطّب ألسن الأطيار
تتلو وفي القرآن آيات الهدى   تسمو بخلق طيب ونجار
الله اكبر قد تجلى نوره   في واحة الايمان والايثار

* * *

يا صائما والصوم لله العلي   منه العطاء يفيض للأطهار
أخلصت صومك للاله تضرعا   وأطعت فيه شريعة المختار
واذا السحور اتى فخير طيب   حمدا لربك في دجى الأسحار
أفطرت باسم الله بعد صيامه   وأقمت فيه ليالي الأنوار

* * *



للأستاذ : سيف النصر الطلخاوي

ما بال صائمنا يفوت موائدا ... ويظل غرثانا طوال نهار
يأبى طعاما تشتهيه بطونه ... والنفس داعية الى الاكثار
فيجيب بالصوم الجميل لدعوة ... من صاحب الآصال والابكار
هي دعوة الله الكريم لعبده ... وموائد الرحمن للأبرار
ذاقوا حلاوة طعمها في قربهم ... لمضيفهم ولنعم عقبى الدار
الله اكبر قد تجلى نوره ... سبحان ربي الواحد القهار

* * *

يا صائما والصوم درع حافظ ... من موبقات الاثم والأوزار
صليت فرض الله في محرابه ... وتبعته بالشفع والأوتار
تسمو بصومك في مقامات الهدى ... وتنال اشراقا من الأنوار
فاذا أتى خير الليالي فزتها ... في ساحة الأنوار والأقدار
في ليلة للقدر خير فضلها ... من الف شهر منحة الغفار

* * *

يا رب قوم بالصيام نفوسنا ... بالصبر والايمان والايثار
يا رب نور بالصيام حياتنا ... وافض علينا نعمة الأخيار

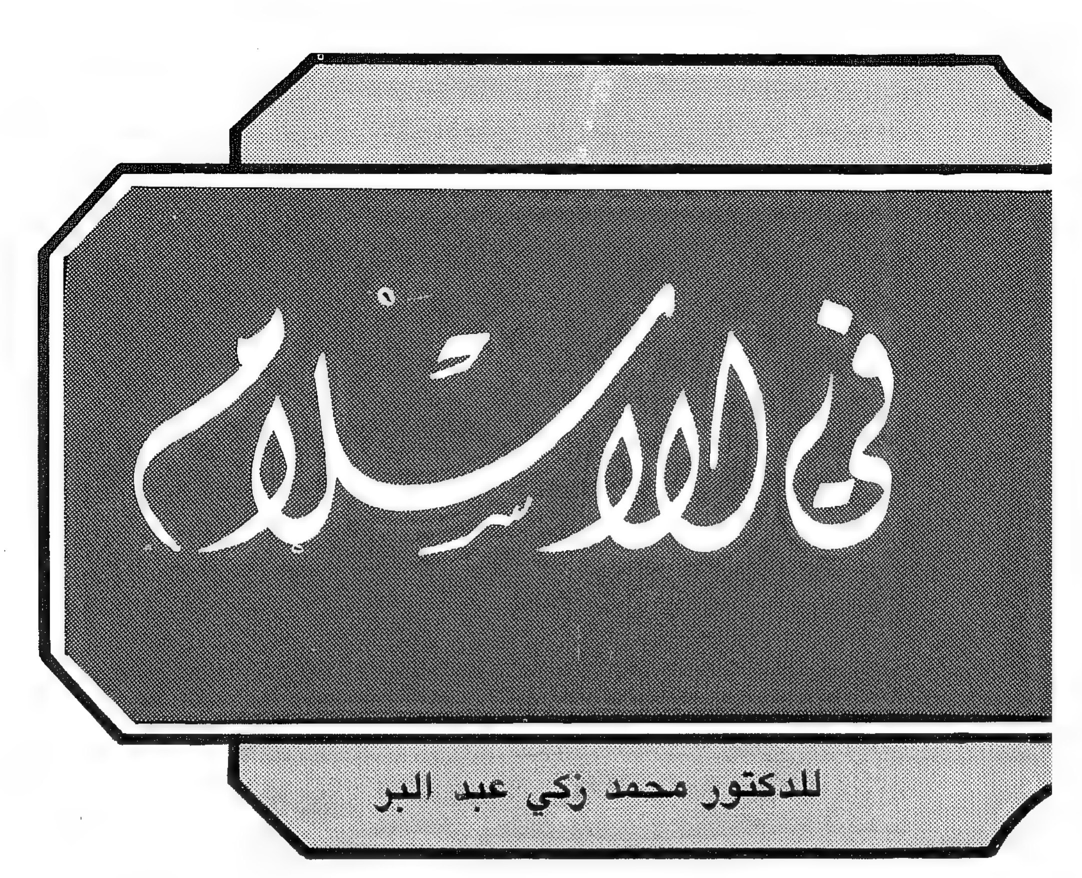
* * *

معاملة المدين

كان الـمَدين ـ في الشرائع القديمة ـ يُستَرقُّ في دينه أي يفقدحرية ويصبح رقيقا يباع في دينه . وليس بعد ذلك إهدار للآدمية : أن يفقد الانسان آدميته ويصبح « شيئا » يباع ويشترى في سبيل مال عجز عن أدائه ، وقد يكون هذا العجز لسبب خارج عن إرادته . فلما جاء الاسلام منع ذلك وعامل المدين معاملة تتفق مع المروءة بل والرحمة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) .

وإن الناظر في أحكام الاسلام الخاصة بالدين ليتبين له ـ بأجلى بيان ـ أن الاسلام عامل المدين أكرم معاملة ورسم أعدل منهج في التوفيق بينه وبين دائنيه ، فلا هو أهدر آدمية المدين ، ولا هو أضاع حقوق الدائنين ، بل وفق بين طرفي الدين : المدين والدائن توفيقا نموذجيا جديرا بفقه يصدر عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

● ـ فهو قد حض على إقراض المحتاج . فقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين إلا كان



كصدقة مرة » وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة اسرى بي على باب الجنة مكتوبا : « الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ـ فقلت : يا جبريل ! ما بال القرض أفضل من الصدقة ؟ قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة » رواهما ابن ماجة

● ـ وهو ينظر إلى القرض على أنه عقد إرفاق وقربة أي جُعِلَ لنفع المستقرض والرفق به فلا يراد به الفضل بل المقصود الأعظم فيه الارفاق أي نفع المقترض .

● ـ وهو قد حرَّم الربا . وهو الزيادة المشروطة على الدين مقابل الأجل بل حرم كل نفع يجره القرض ، وشدد في هذا التحريم أيما تشديد . فقال تعالى : (**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الـمَسِّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم**) (البقرة : ٢٧٥ ـ ٢٧٦) . وقال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا**

الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون » (البقرة : ٢٧٨ ـ ٢٧٩) وعن جابر رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه « آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء » رواه مسلم. وعن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه .. » رواه ابن ماجة مختصرا والحاكم بتمامه وصححه .

● ـ وأعطى المدين المعسر مهلة للسداد وحض على التصدق عليه فقال تعالى : « **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** » (البقرة : ٢٨٠) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دَيْنُهُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه .. » رواه مسلم

● ـ ولكنه إذ حرم الربا حض المدين على حسن القضاء ولم يمنع المدين من أن يكافىء الدائن بلا شرط عليه فأباح له أن يرد للدائن أفضل مما أخذ شكرا له ووفاء فذلك من باب حسن القضاء . فقد روى أبو رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف من رجل بَكْراً (وهو الفتى من الأبل) فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بَكْره فقال : لا أجد إلا خيارا رباعيا (وهو الذكر من الأبل إذا طلعت رباعيته ودخل في السنة السابعة والرَّباعية السن بين الثنية والناب وهي أربع : رباعيتان في الفك الأعلى ورباعيتان في الفك الأسفل) فقال : أعطه إياه فإن خيار الناس أحسنهم قضاء » رواه مسلم

● ـ وشدد في قضاء الدين فقد روى البخاري عن سلمة بن الأكوع أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل ليُصلي عليه ، فقال : هل عليه دين ؟ قالوا : نعم ـ ديناران ـ قال : هل ترك لهما وفاء ؟ قالوا : لا . فتأخر ، فقيل : لم لا تصل عليه ؟ فقال : ما تنفعه صلاتي وذمته مرهونة إلا إن قام أحدكم فضمنه ، فقام أبو قتادة فقال : هما عليَّ يا رسول الله ، فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم .

● ـ وإذا كان المدين موسرا فللدائن مطالبته فإن امتنع عن قضاء الدين كان لدائنه ملازمته والإغلاظ له بالقول نتيجة ظلمه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيُّ الواجد يحل عقوبته وعرضه » فعقوبته حبسه وعرضه أي يحل القول في عرضه بالإغلاظ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَطْل الغنيِ ظلم » وقال : « إن لصاحب الحق مقالا » . وله منعه من السفر إن كان الدين حالّاً أو يحل قبل عودته لأن عليه ضررا في تأخير حقه .

وحبسه القاضي فإن لم يفد حبسه باع عليه ماله ووفى منه دينه .

● ـ أما إذا كان معسرا وثبت اعساره لدى القاضي فليس لاحد مطالبته ولا ملازمته بل ينظر لقوله تعالى : (**وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة** » البقرة : ٢٨٠) .

● ـ واذا صارت ديون المدين الحالة اكثر من ماله وخرجه اكثر من دخله كان لدائنيه ان يطلبوا من القاضي توقيع الحجر عليه محافظة على حقوقهم وحينئذ يجيبهم القاضي الى طلبهم فيوقع الحجر عليه . فعن ابن كعب بن مالك عن ابيه رضي الله عنهما « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه » (رواه الدار قطني وصححه الحاكم واخرجه ابو داود مرسلا ورجح ارساله) ويحسن شهر ذلك ليعرف الناس انه محجور فيحتاطوا لأنفسهم في التعامل معه . ويترتب على الحجر احكام نجد فيها التوازن الفذ بين مصلحة الدائنين وآدمية المدين . ذلك انه اذا وقع الحجر عليه .

أ ـ تعلقت حقوق الدائنين بأعيان ماله ومنع المدين من التصرف في هذه الاموال ولكن في نفس الوقت لا يجبر على قبول الهبات والوصايا والصدقات لما قد يكون في ذلك من المنة حفظا لمروءته كما انه لا يمنع من شغل ذمته بديون اخرى على ألا يشارك الدائنون الجدد غرماءه القدامى اذ انهم عاملوه وهم يعلمون وقد شهر حجره ـ انه محجور للدين وان ديونه اكثر من ماله ... ويكون هذا الحجر مقصورا بسبب ديونه الحالة دون ديونه المؤجلة لانها لم تستحق بعد ولا يملك الدائنون المطالبة بها قبل حلول موعدها اذ لا يحل الدين الآجل بفلس المدين (ولكن يحل بموته) .

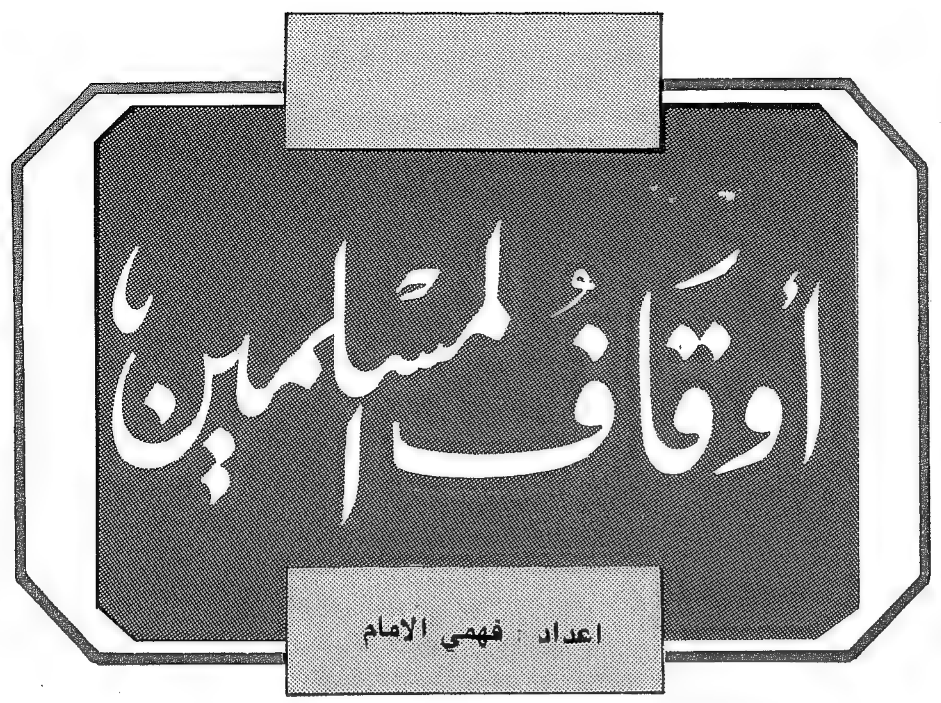
ب ـ ما فعله المفلس قبل الحجر عليه في ماله من تصرفات من بيع اوهبة او اقرار او قضاء بعض الغرماء فهو نافذ .

ج ـ ما يفعله المفلس من تعهدات والتزامات بعد الحجر تكون صحيحة ـ نتيجة الابقاء على آدميته ـ ولكنها لا تنفذ في ماله الحالي وانما يلتزم بها في المستقبل رعاية للدائنين الذين حجر عليه بسبب ديونهم .

د ـ تقسم امواله بين الغرماء وليس لهم بعد ذلك شيء فلا يجبر على العمل ليقضي دينه لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه ولم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرمائه : « خذوا ما وجدتم وليس لكم الا ذلك » رواه مسلم . وظاهرٌ ما في ذلك من محافظة على مروءة المدين .

هـ ـ واذا قسمت امواله فك الحجر عنه وعادت اليه حريته كاملة في التعامل تلك باختصار احكام قضاء الدين ... وظاهر ما فيها من توفيق فذ بين المحافظة على مروءة المدين وآدميته وبين حقوق الدائنين . وما ذلك بمستغرب على فقه يصدر عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

اللهم زدنا ايمانا بشريعتك واهدنا سواء السبيل .



مما يفخر به تاريخ المسلمين هذه الأوقاف الخيرية التي تحبس أصولها ، وتعم فائدتها ، ليبقى الخير موصولا في الأمة الاسلامية جيلا وراء جيل .. وإذا كانت أعمار الناس محدودة مهما توالت الأيام وتطاولت السنون فان اعمال الناس يمكن أن تظل باقية الأثر بعد رحيلهم عن الدنيا .. وما أصدق قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

أول صدقة في الاسلام :

ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو أول من أوقف مالا في الاسلام ـ فقد ورد أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا : وكانت بنو النضير حبسا لنوائبه ، وكانت فدك لابن السبيل ، وكانت خيبر قد جزأها ثلاثة أجزاء : فجزآن للمسلمين ، وجزء كان ينفق منه على أهله ، فان فضل فضل رده على فقراء المهاجرين .

وهكذا كان الرسول القدوة هو صاحب أول صدقة في الاسلام .

الصحابة رضوان الله عليهم :

والسلف الصالح نهج نفس النهج النبوي الكريم ، عليهم رضوان الله ، فكانت لهم وقوف ينفق منها في أبواب الخير والمعروف ..

● فكان لأبي بكر الصديق رضى الله عنه دور في مكة أوقفها فلم تورث عنه بعد موته ، ولكن يسكنها من حضر من ولده وولد ولده ونسله مكة ولم يتوارثوها .
● وعمر ـ رضى الله عنه ـ قال : يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منها ، فما تأمرني ؟ فقال رسول الله : إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بثمرتها فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث ، تصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله ، والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وأن يطعم صديقا غير متمول منه ، وأوصى به إلى حفصة أم المؤمنين ثم إلى الأكابر من آل عمر .
(أنظر كتاب أحكام الأوقاف للامام الخصاف) .
● هذا وكان عمر ـ رضى الله عنه ـ قد قطع لعلي ـ رضى الله عنه ـ ينبع ـ وهو حصن له عيون ونخيل وزروع ثم اشترى على إلى قطيعته تلك أشياء أخرى ، وحفر فيها عينا ، فبينما هم يعملون إذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور عن الماء ، فأتى من بشر عليا بذلك ، فقال كرم الله وجهه : بشر الوارث ،ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد . في السلم والحرب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله النار عن وجهه بها .

والمسيرة ممتدة :

وهكذا تمتد المسيرة المباركة ، من الصحابة الكرام ، إلى الأتباع ، وأتباع الأتباع ، فالخير موجود في أمة محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ إلى يوم القيامة ، وانتشرت الأوقاف الاسلامية في ديار المسلمين ، وتعددت أهداف الانتفاع بها .. وكتب الفقهاء فصولا خاصة بالوقف ، واستنبطوا له أحكاما ، ووضعوا له قواعد ، وبنوا عليه تفريعات فقهية دليل ثراء الفكر الاسلامي ، وصدرت في ديار المسلمين تشريعات خاصة بالأوقاف الاسلامية ..
كان منها الموافقة الأميرية سن سمو أمير الكويت على العمل بمشروع قانون بشأن تطبيق أحكام شرعية بمواد خاصة بالأوقاف .
وصدر الأمر الأميري بتاريخ ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٧٠ هـ الموافق ٥/٤/١٩٥١م .

أهم الأحكام الخاصة بالأوقاف في الكويت

● الوقف الخيري نافذ ولو مات واقفه قبل الحوز سواء كان خيريا ابتداء أو مآلا ، أو كان بعضه خيريا والبعض الآخر أهليا .
● يجوز استبدال الوقف خيريا أو أهليا بما هو أنفع منه استغلالا ، أو سكنى ، كما يجوز استغلال الموقوف للسكنى ، وسكنى الموقوف للاستغلال إذا كانت المصلحة تقضي بذلك .

● الأوقاف الخيرية أو الأوقاف التي للخيرات فيها نصيب إذا لم يشترط الواقف النظارة عليها لشخص أو جهة معينة تكون النظارة عليها لدائرة الأوقاف العامة (وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية) وإن اشترط الواقف النظارة لأحد فتشترك الدائرة (الوزارة) في النظارة منضمة إلى الناظر المعين من الواقف إن كانت المصلحة تقضي بذلك .

● للواقف أن يرجع في وقفه كله أو بعضه خيريا كان أو أهليا ـ كما يجوز له أن يغير في مصارفه وشروطه ولو حرم نفسه من ذلك ، إلا في وقف المسجد ، وفيما وقف على المسجد فانه لا يجوز له الرجوع ، ولا التغيير فيه ولو شرط ذلك .

صور من أوقاف المسلمين في الكويت قديما

ورغم صعوبة الحياة في الكويت قديما وقسوة العيش فان الناس كانوا سباقين إلى فعل الخير .. كل حسب استطاعته ، بل كانوا يقتطعون ما هم في حاجة إليه ليجعلوه صدقة جارية لنفع أولادهم من بعدهم ، وفي سبيل الخير .

وصية عثمان بن سليمان الموسى

ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ن الوصية قبل حلول المنية والصلاة والسلام على خير البرية سيدنا محمد واله وصحبه والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين اما بعد . فهذا ما اوصى به الرجل العاقل الرشيد عثمان بن سليمان الموسى وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان الموت حق والنار والجنة حق اوصى عثمان المذكور وهو بتمام صحته وشعوره بان له من جميع متروكاته من عقار ونقود وديون واثاث الى غير ذلك ثلثا يصرف في طريق الخيرات والمبرات ويصرف منه زواج ابن ابنه حمد السليمان العثمان الموسى والوصى على هذا الثلث ابنه عبد المحسن وصيا مختارا يعمل ما يراه صالحا في هذا السبيل وقد قبل عبد المحسن المذكور هذه الوصيه وبيانا لواقع الحال حررت هذه الوصية جرى وحرر في غرة شهر رمضان المبارك سنة الف وثلاثمائة وخمس وستين هجرية على صاحبها افضل صلاة وازكى تحية ،

○ وللنساء دورهن

وفي مجال الخير واشاعة المعروف بين الناس كان للنساء دورهن ، فهذا وقف امرأة لاطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين ، ونصه :ـ

السبب الداعي الى تحرير هذه الاحرف الشرعيه هو انه قد حضر لدى

قاسم بن أدريس وعبد المحسن بن مشعل وشهد كل منهما لله تعالى بان موضي بنت عبد الله بن مشعل العارفين لها تمام المعرفة قد اوقفت بيتها الواقع في محلة المرقاب المحدودقبلتا الطريق وشمالا بيت ال جري وشرقا بيت ناصر بن الخنا وجنوبا بيت ساره الناهظ اوقفته في عشيات وضحايا لها ولوالديها وجعلت الوكيل الناظر عليه ابراهيم بن مشعل ومن بعده اولاده وقفا صحيحا شرعيا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه حتى لا يخفى حرر في ١٢ ربيع الاول ١٣٤١

○ وقف في افعال بر

وهذا وقف اوقفه حيدر عبد الغفور في سنة ١٣١٥ هـ . نثبت نصه :-

الحمد لله سبحانه

جرى كما ذكر لدى وانا العبد الفاني محمد بن عبد الله العدساني السبب الداعي الى تحرير هذه الاحرف الشرعية هو انه قد اشترى محمد بن عبد الغفور بوكالته عن اخوه حيدر بن عبد الغفور من تركته الدكان المحدود قبلتا المناخ وشمالا دكان ابن هريس وشرقا دكاكين القيصرية وجنوبا دكان العدساني والدكان المحدود قبلتا دكاكين ملا عمر وشمالا دكان عيسى وشرقا المناخ وجنوبا دكان سيف الرشود بثمن قدره وعدده ستماية ريال وخمسة وثمانين ريال تسلم الثمن بتمامه وكماله المشتري محمد بن عبد الغفوروورثة حيدر واوقفهم من ثلث اخوه حيدر على عشيات وضحايا وختمات وافعال بر وجعل له مدة حياته ومن بعده الصالح من الذرية يتولاهم ويعمل ما ذكر وقفا صحيحا شرعيا محبسا فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه .

حتى لا يخفى جرى وحرر في ٣٠ شعبان ١٣١٥ هـ .

وقف على المسجد

وهذا وقف من السيد/ حمد الخالد .. قد دار بشأنه نزاع حكمت فيه المحكمة ، وهذا نص حكم المحكمة .

حضرة صاحب السعادة رئيس الامن العام الموقر

بعد التحيه :-

بخصوص دعوى سليم بن صالح مولى الخالد ـ ضد فهد المحمد الخالد بوكالة عبد الرزاق الصانع .

تضمنت الدعوى ان المرحوم الحاج حمد الخالد اوقف بيتا كائنا في شارع الجهراء على المدعى وعائلته وبعد انقراضهم يرجع وقفا على مسجد اليعقوب وقد ثمنت البلدية هذا البيت ولا زالت قيمته موقوفة وطلب المدعى الحكم باثبات وقفية البيت له ولعائلته وامر المدعى عليه بعدم التعرض في ذلك

وبسؤال وكيل المدعى عليه اجاب اخيرا بان موكله يطلب ان تبدل الوقفية عن صفتها الحالية الى صيغة اخرى بينها بكتاب اجابته المؤرخ ١١/١١/١٩٥٦ واطلعت المحكمة على القرار السابق في ٢٢/١/١٩٥٦ رقم ٥٧٠ سنه ١٩٥٥ الذي جاء به ان المدعى ضمن عبيد الخالد المعاتيق والموقوف عليه وعلى عائلته احد البيوت الستة الصغار المقتطعه من النصف الشرقي للجاخور البراني فاذا انقرضوا يرجع وقفا على مسجد اليعقوب الذي هو قريب من بيتهم الكبير وقد حضر صالح الفارس ومحمد بن مهلهل

ابن حمد الخالد وشهدا بما يؤيد الدعوى .

والمحكمة من حيث ظهر من وقائع القرار المشار اليه ومن شهادة الشاهدين المذكورين ان المدعي وعائلته موقوف عليهم من آل الخالد البيت المبين بالدعوى وبعد انقراضهم يرجع وقفا على مسجد اليعقوب الذي هو قريب من بيت الخالد الكبير .

لهذا اثبتنا وقفية البيت من ال الخالد علي سليم ـ المدعي ـ وعائلته يعود بعد انقراضهم وقفا على مسجد اليعقوب .

دور وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

في الماضي كانت اوجه مصارف الصدقات محدودة ، ولذا جاءت الاوقاف قديما لتحدد في جهات معينة ، ولما تشابكت مصالح الناس في عصرنا هذا ، واتسعت دائرة التعاون بين الدول ، وامكن الاتصال بأي مكان في العالم ، ومعرفة ظروف واحوال الناس فيه ، وتغيرت متطلبات الدعوة الاسلامية تبعا لأوضاع جديدة يعيشها عالمنا المعاصر ، كان لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بصفتها مسئولة عن توجيه اموال الوقف ـ من خلال ادارة الوقف بالوزارة ـ الى اوجه الخير ، كان لها ان تبرم ما تراه مناسبا لمصلحة الاوقاف في دولة الكويت وخارجها بالبيع والشراء بثمن المثل واتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك ، وقبض او دفع الثمن على ان يشترى بثمن المبيع عقارا آخر لجهة وقفه حكمه كحكمه وشرطه كشرطه .

وبالنسبة لفائض ريع الاوقاف الخيرية فالوزارة تقوم بتوجيهه الى المصارف ذات النفع الاسلامى العام ، ولها ان تختار جهات البر التي ترى انها تحقق غاية افضل للاسلام والمسلمين وهذا نص كتاب من مدير ادارة الوقف موجه الى مدير الشئون الاسلامية بالوزارة يتضمن بيانات احصائية بالمعونات المالية من الوزارة الى الخارج لعامي ٨١ ـ ١٩٨٢ م .

يقول الكتاب :ـ

السيد مدير الشئون الاسلامية المحترم

تحية طيبة وبعد ،

اشارة لكتابكم رقم أ ف / ش س / ١٤٦٦ / ٨٣ بتاريخ ٨٣/٣/٥ والمتضمن طلب بيانات احصائية بالمعونات المالية من الوزارة الى الخارج لعامي ٨١ ، ٨٢ .

نفيدكم بأنها حسب الكشف المبين ادناه :

	البند	عام ١٩٨١	عام ١٩٨٢
١	بناء مساجد	٨١٢٦١	١٧٠٩٠٥
٢	تعليم	٢٠٠٧٠	١٠٧٩٣
٣	كتب اسلامية ونشر الدعوة الاسلامية	٢٦٦١٧	٢٤٦٣
٤	تذاكر سفر وعلاج	٤٢٤٥	٣٣١٩
٥	مساعدات لجمعيات ومراكز اسلامية	٤٨١٩٠	٢٩١٥٠

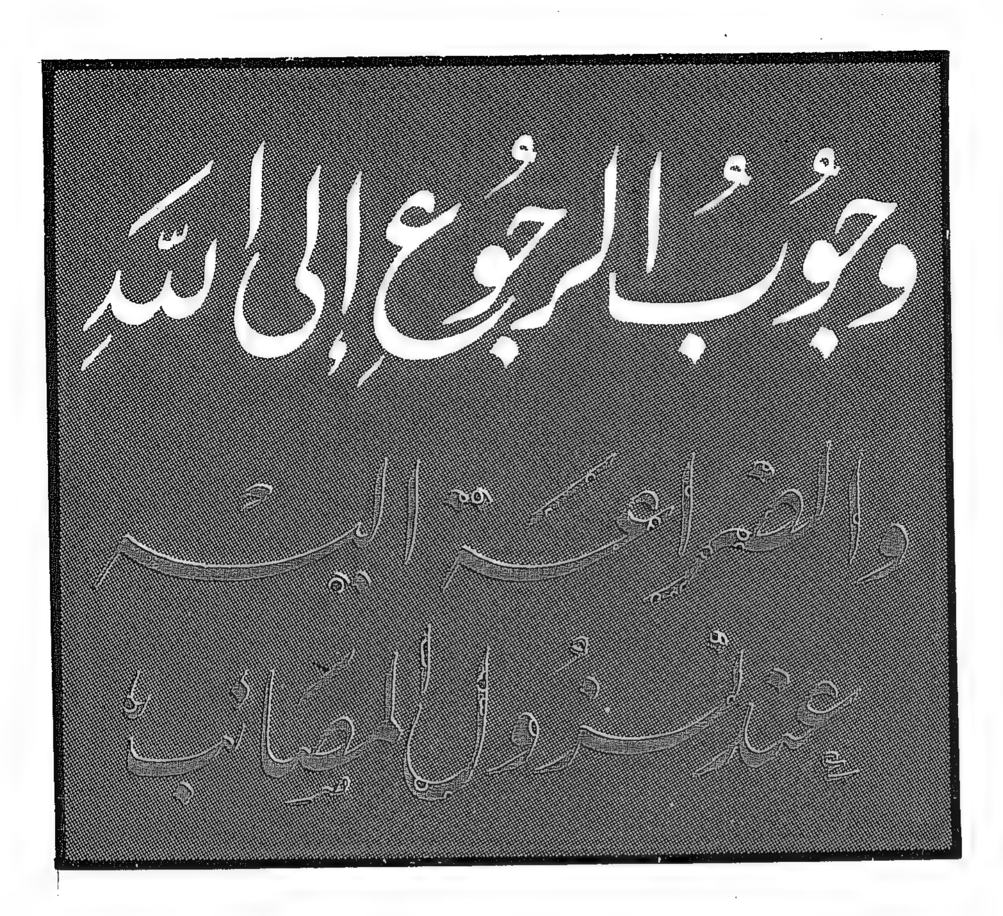
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ، ، ،

دعوة للخير

واذا كان الاسلاف الكرام ـ رغم ضآلة مواردهم ، وقلة ما ملكوا ، قد جعلوا من اموالهم جزءا يظل خيره ينالهم حتى بعد موتهم ، لتثقل موازينهم عند الله يوم القيامة جزاء ما قدموا للمحتاجين ولنشر الدعوة الاسلامية ولعمارة مساجد الله ، وفي شتى دروب الخير ، وتظل ذكراهم عطرة ، والناس يدعون لهم بحسن المثوبة عند الله .اذا كان الاسلاف قد فعلوا ذلك ، واذا كان الفقهاء قد كتبوا في الاوقاف الاسلامية ، فما بالنا نجد الناس منصرفين عن هذا الباب العظيم من ابواب الخير ، خاصة الاغنياء ـ وهم بحمد الله كثيرون ـ لقد وهبهم الله الكثير من نعمه ، وهي نعم تستحق الشكر ، والشكر يكون بالانفاق منها في سبيل الله ، وخير العمل أدومه وأن قل ، وشكر الله يحقق المزيد من فضله ، لذا فنحن نهيب بمسلمي اليوم ان يوقفوا من اموالهم للخير ما يستطيعون ، فنشر الدعوة في بلاد الكفر يحتاج الى المزيد ، والانفاق على الاعلام الاسلامي يحتاج الى عطاء موصول ، ونشر الثقافة الاسلامية ، واعداد العلماء الأكفاء الذين يخاطبون الناس بلغة العصر كل ذلك يحتاج الى اهل الخير .. وقديما قال القائل :ـ

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل واقلال

ودعاؤنا أن ينصر الله الاسلام والمسلمين ، ويحقق لهم الخير .



حمل البريد إلينا هذه الرسالة الطيبة من فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ويطيب للوعي الاسلامي أن تنشرها بنصها تحت عنوان « وجوب الرجوع إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب » تعميما لفائدتها .
يقول الشيخ :

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى من يطلع عليه من المسلمين .

وفقني الله واياكم للتذكر والاعتبار والاتعاظ بما تجرى به الاقدار . والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والاوزار آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد :

فان الله عز وجل بحكمته البالغة وحجته القاطعة وعلمه المحيط بكل شيء يبتلى عباده بالسراء والضراء والشدة والرخاء وبالنعم والنقم ليمتحن صبرهم وشكرهم فمن صبر عند البلاء وشكر عند الرخاء وضرع

الى الله سبحانه عند حصول المصائب يشكو اليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه افلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة قال الله جل وعلا في كتابه العظيم : (**الم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**) والمقصود بالفتنة في هذه الآية الاختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب والصابر والشاكر . كما قال تعالى : (**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا**) وقال عز وجل : (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون**) وقال سبحانه : (**وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**) والحسنات هنا هى النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة . والنصر على الاعداء ونحو ذلك والسيئات هنا هى المصائب . كالأمراض وتسليط الاعداء والزلازل والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك وقال عز وجل : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) والمعنى انه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ليرجع الناس الى الحق ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم ويسارعوا الى طاعة الله ورسوله لان الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة واما توحيد الله والايمان به وبرسله وطاعته وطاعة رسله والتمسك بشريعته والدعوة اليها والانكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة وفي الثبات على ذلك والتواصي به والتعاون عليه عز الدنيا والآخرة والنجاة من كل مكروه والعافية من كل فتنة كما قال سبحانه : (**يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) وقال سبحانه : (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**) وقال تعالى : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**) وقال سبحانه : (**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**) وقد بين سبحانه في آيات كثيرة ان الذي اصاب الامم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم كما قال عز وجل : (**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان**

الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقال سبحانه وتعالى : **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)** وامر عباده بالتوبة اليه والضراعة اليه عند وقوع المصائب فقال سبحانه : **(يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار)** وقال سبحانه : **(وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)** وقال سبحانه : **(ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)** وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم اذا حلت بهم المصائب من الامراض والجراح والقتال والزلازل والريح العاصفة وغير ذلك من المصائب ، ان يتضرعوا اليه ويفتقروا اليه فيسألوه العون وهذا هو معنى قوله سبحانه : **(فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا)** والمعنى هلا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا . ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال عزوجل : **(ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)** .

وقد ثبت عن الخليفة الراشد رحمه الله أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه ، كتب الى عماله في البلدان وأمرهم أن يأمروا المسلمين بالتوبة الى الله والضراعة اليه والاستغفار من ذنوبهم ، وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان وأثيوبيا وغيرها ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ومن ذلك ما وقع من الفيضانات مدمرة و الريح العاصفة المدمرة لكثير من الاموال والاشجار والمراكب البحرية وغير ذلك وانواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ومن ذلك المجاعة والجدب والقحط في كثير من البلدان كل هذا وأشباهه من انواع العقوبات والمصائب التي ابتلى الله بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي والانحراف عن طاعته سبحانه والاقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة والاعراض عن الآخرة وعدم الاعداد لها إلا من رحم الله من عباده ولاشك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة الى الله سبحانه من جميع ما حرم عليهم والبدار الى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ومتى تاب العباد الى ربهم وتضرعوا اليه وسارعوا الى ما يرضيه وتعاونوا على البر والتقوى وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر أصلح الله أحوالهم وكفاهم شر أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم وأسبغ عليهم نعمه وصرف عنهم نقمه كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين :

(وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال عز وجل : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين . ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقال عز وجل : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) وقال سبحانه : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) الآية . وقال عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) فأوضح عز وجل في هذه الآيات أن رحمته واحسانه وأمنه وسائر نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به وأطاع رسله واستقام على شرعه وتاب اليه من ذنوبه . أما من أعرض عن طاعته وتكبر عن اداء حقه وأصر على كفره وعصيانه ، فقد توعده سبحانه بانواع العقوبات في الدنيا والآخرة ، وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره كما قال سبحانه : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا الى ربكم واستغفروه وبادروا الى طاعته واحذروا معصيته وتعاونوا على البر والتقوى وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، واقسطوا ان الله يحب المقسطين ، وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت وارحموا ضعفاءكم وواسوا فقراءكم واكثروا من ذكر الله واستغفاره وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون ، واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي والله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين ويحسن العاقبة للمتقين كما قال سبحانه : (فاصبر إن العاقبة للمتقين) وقال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) والله المسئول باسمائه الحسنى وصفاته العلا ان يرحم عباده المسلمين وان يفقههم في الدين وينصرهم على اعدائه واعدائهم من الكفار والمنافقين وان ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس العام
لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد



للدكتور / هشام ابراهيم الخطيب

التمر فاكهة صحراوية ممتازة غنية بالمواد الغذائية الضرورية للانسان ، وإنه غذاء مريم ايام حملها بالسيد المسيح عليه السلام ، فقد ورد في القرآن الكريم : « **وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا . فكلي واشربي وقري عينا** » سورة مريم ٢٥ و ٢٦ .

حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الافطار على التمر والماء فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فانه بركة ، فان لم يجد تمرا فالماء ، فانه طهور » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه .

إن سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم في الافطار على التمر والماء تتجلى فيها فوائد عدة منها : ـ

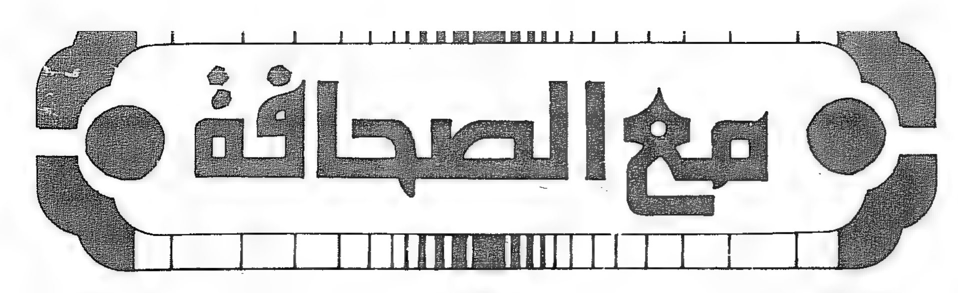
١ ـ أن التمر يحتوي على مواد سكرية تبلغ في نسبتها ٧٠٪ ومن هذه المواد السكرية ، سكر العنب ، سكر الفواكه ، سكر القصب ، والمعروف علميا أن المواد السكرية سريعة الامتصاص ، سريعة التمثيل ، لا تحتاج الى عمليات هضمية ولا الى عمليات كيمياوية معقدة كما هو الحال في المواد الدهنية والنشوية والتي تحتاج الى انزيمات هضمية وعمليات بيولوجية لتتحول الى دكسترين ، ثم الى مواد سكرية قابلة للامتصاص .

من هنا نلاحظ ان المواد السكرية تمتص في فترة قصيرة جدا وتكون جاهزة للاحتراق اذا ما قورنت بالاغذية الأخرى التي تحتاج الى اكثر من ثلاث ساعات ، فهذه المواد السكرية تعوض الجسم عن نقص السكر في الدم في أثناء الصوم ، وتزيل الاعراض الناتجة عن نقصه بسرعة مثل (الضعف والكسل ، وزوغان البصر ، وعدم قدرة الشخص على التفكير او الحركة) .

وهنا تظهر الحكمة النبوية الشريفة في البدء بتعاطي مادة سكرية كالتمر . ثم يقوم المسلم بعدها الى الصلاة وعندما ينتهي منها يتناول طعاما خفيفا يسد

جوعه ويفي بحاجة جسمه من الغذاء ، دون شعور بالتخمة أو الامتلاء .
وهذا النمط من الافطار له فوائد منها :
أ) ان المعدة لا ترهق بما يقدم اليها من غذاء دسم وفير بعد ان كانت هاجعة نائمة طوال ثماني عشرة ساعة تقريبا بل تبدأ عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص ثم بعد نصف ساعة يقدم اليها الافطار المعتاد .
ب) ان تناول التمر اولا يحد من جشع الصائم فلا يقبل على الأكل بعجلة دون مضغ أو تذوق .
جـ) هضم المواد السكرية في التمر خلال نصف ساعة فاذا بالدم يترع بالوقود السكري الذي يزود انحاء الجسم ويبعث في خلاياه النشاط فيزول الاحساس بالدوخة والتعب سريعا .
٢) يحتوي التمر على معادن كثيرة هامة منها البوتاسيوم والصوديوم ، والكالسيوم ، والمغنيسيوم ، والفوسفور ، وهذه المعادن لها اهميتها فيما يتعلق بالعمليات الكيماوية في جسم الانسان وتدخل في تركيب انسجته ونقص احدها يكون له آثار ضارة على الجسم ، فمثلا الفوسفور : فكل مئة غرام من التمر يحتوي على اربعين ميلغراما من الفوسفور ، بينما لا تزيد كمية الفوسفور الموجودة في فاكهة ما عن عشرين ميلغراما من نفس الكمية ، والفوسفور يدخل في تركيب العظام والاسنان ، وان الفوسفور هو الغذاء للحجيرات النبيلة ، وهي حجيرات الدماغ والتناسل .
٣) يحتوي على الفيتامينات التالية :
فيتامين «أ» وهو موجود بنسبة عالية تعادل نسبته في اعظم مصادره اي تعادل نسبته في زيت السمك وفي الزبدة ومن فوائد فيتامين (أ) يحفظ رطوبة العين وبريقها ويقوي الاعصاب البصرية ويساعد على النمو والرشاقة ويجعل البصر نافذا في الليل والنهار .
فيتامين (ب١ ، ب٢) وهذه الفيتامينات تساعد على تقوية الاعصاب وتليين الأوعية الدموية .

٤ ـ انواع عديدة من السكاكر الغليلوكوز (سكر العنب) ، الليكولوز (سكر الفاكهة) ، والسلكروز (سكر القصب) . والتي تبلغ نسبتها حوالي ٧٠٪ ، وكما ذكرت سابقا ان هذه السكاكر تعطي سعرات حرارية كثيرة حيث ان مئة غرام من التمر يعطي حوالي ثلاثة الاف سعر .
٥ ـ الألياف السيلولوزية التي يحتويها البلح تساعد على تنشيط حركة الأمعاء ومرونتها ويستطيع من اعتاد تناولها ان ينجو من حالات الامساك المزمن .
واخيرا لو اتبع المسلمون في صيامهم سنة الرسول العظيم فافتتحوا افطارهم ببضع تمرات لجنوا فوائد الصيام الصحية ولحققوا ما جاء في الحديث الشريف « صوموا تصحوا » .



مايزال العالم الاسلامي ، من أقصاه الى أقصاه ، مسرحا للصراعات والتفجرات الخطيرة ، ولا ريب في أن كثيرا من أسبابها يرجع الى تصاعد التوتر في عملية الاستقطاب الدولي بين القوتين العظميين . ففي أفغانستان تكثف القوات السوفياتية هجماتها ضد الشعب الأفغاني المسلم ، وفي الخليج تجتاز الحرب المدمرة يومها الألف ، وفي لبنان تملأ الاجواء قرعات طبول الحرب ، وفي جنوبي السودان أزمة تهدد بالانفصال ، وفي ارتريا موجة عاتية من الجفاف تعصف بأكثر من ربع السكان ، وفي فلسطين المحتلة تنشط تنظيمات صهيونية ارهابية ، بدعم من الحكومة الاسرائيلية ، في عمليات الاستفزاز والقمع والعدوان على الفلسطينيين لا سيما في الضفة الغربية .الى اخر هذه السلسلة التي لا يمكن أن نحصي حلقاتها جميعا في مقال واحد .

ومع ذلك يحتل لبنان موقع الحدث الأول في اهتمامات الصحافة العربية والعالمية ، نظرا للتوتر الذي تصاعد بين القوتين العظميين ، بعد الاتفاق الذي جرى عقده بين لبنان واسرائيل بوساطة ـ أو بضغط ـ من الولايات المتحدة الأمريكية ، وما نجم عن هذا الاتفاق من مواقف وتطورات . ثم يجيء بعد هذا كله ، الخلاف الذي نشب في صفوف منظمة فتح ،كبرى المنظمات الفلسطينية ، في أشد الأوقات حرجا وعسرا ، ليزيد من حدة التشاؤم .

○ الاتفاق اللبناني الاسرائيلي ○

تحدثت صحيفة كريستيان ساينز مونيتور ، عن المكاسب التي تجنيها اسرائيل من عقد الاتفاق مع لبنان ، فنشرت في ١٠ شعبان مقالا جاء فيه :

ستجني اسرائيل مكاسب سياسية كبيرة من الاتفاق الذي وقعته مع لبنان في ١٧ مايو الجاري سواء تم تنفيذ هذا الاتفاق أم لم يتم

والمكسب الرئيسي الذي حققته اسرائيل من خلال قبولها بالاتفاق ، هو أن الولايات المتحدة ، في حالة عدم تنفيذه وفشله ، ستلوم سوريا والاتحاد السوفيتي وليس اسرائيل .

والتحول الذي طرأ على العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية كان سريعا وكبيرا ، فما ان وافق مجلس الوزراء الاسرائيلي على الاتفاق حتى أعلن شولتز أن الولايات المتحدة ستنظر سريعا في الافراج عن ٧٥ طائرة اميركية مقاتلة من طراز أف ـ ١٦ كان قد جمد ارسالها الى اسرائيل بعد قيام الاخيرة بغزو لبنان . وبدأ المسؤولون الاميركيون يتحدثون كذلك عن دعوة بيغن للقيام بزيارته المؤجلة لواشنطن ، بحيث بات من المحتمل ان تتم هذه الزيارة في شهر يونيو أو شهر يوليو المقبلين . كما وافقت الادارة الاميركية على الزيادة التي اقرها

الكونغرس في المساعدات الاميركية لاسرائيل والتي تقدر بمائة مليون دولار .
وعلاوة على ذلك ، فان وزارتي الدفاع والخارجية الاميركيتين اصدرتا بيانين في الاسبوع الماضي يسمحان لاسرائيل باستغلال التكنولوجيا المتقدمة التي لدى الولايات المتحدة في تصميم وبناء الطائرة الاسرائيلية الجديدة (لافي) التي تزمع اسرائيل صنعها .

والاتفاق ليس معاهدة سلام . وممثل اسرائيل في منطقة بيروت سيكون له وضع شبه دبلوماسي ، كما أن المفاوضات لعبور البضائع والاشخاص بين البلدين ستبدأ بعد ستة أشهر من تاريخ تنفيذ الاتفاق .

وعلى المستوى الامني ، فان ايجابيات الاتفاق وسلبياته أقل وضوحا . وذلك راجع في جزء منه لكون المسائل الامنية الرئيسية في الاتفاق ظلت سرية ، وخصوصا الدور الذي سيقوم به الرائد اللبناني المنشق سعد حداد في الترتيبات الامنية في الجنوب .

وقال مصدر عسكري اسرائيلي :(أن الاجزاء التي لم تنشر من الاتفاق هي التي تجعل الاتفاق قابلا للتنفيذ وعمليا ، وهي تتضمن حقنا في الدفاع عن أنفسنا وجميع رسائل التفاهم بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وبين لبنان والولايات المتحدة)

وفي الجانب الايجابي ، فان منطقة أمنية بعمق ٢٨ ميلا داخل الاراضي اللبنانية شمال الحدود الاسرائيلية سيتم انشاؤها ولا يسمح بادخال أي نوع من السلاح اليها الا ما حدده الاتفاق ، كما ينص الاتفاق على حظر تشكيل أية تنظيمات مسلحة على الاراضي اللبنانية يكون هدفها الاعتداء على اسرائيل . وسيتولى الاشراف على الامن في المنطقة الأمنية فرقة خاصة من الجيش اللبناني . كما ستقوم كل من اسرائيل ولبنان بتشكيل وحدات تفتيش عسكرية مشتركة لها الحرية الكاملة في التحرك داخل المنطقة الامنية لممارسة مهامها .

○ الانشقاق في منظمة فتح ○

قد يعود بعض أسباب الخلاف الناشيء في (فتح) الى التفاعلات التي نجمت في الصف الفلسطيني بعد الغزو الصهيوني الأخير ، وقد يعود بعضها الاخر الى نزاع في الرأي أوخلاف في وجهات النظر .. وقد يكون هذا كله مسوغا أو معقولا ، لكن ما لا مسوغ فيه أن يتصاعد الخلاف ويستعلن في ظرف هو من أدق الظروف وأحرجها ، وأن تسهم في تصعيده واستعلانه بعض الأطراف العربية التي يجدر بها أن تعمل على ازالته .

عن جانب من الأزمة في (فتح) كتبت صحيفة الوطن الكويتية في ١١ شعبان مقالا بعنوان (الأنظمة والحريق الفلسطيني) جاء فيه :

عندما انعقد المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر تحت شعار « استقلالية القرار الفلسطيني » كان الظن ان الهدف هو ايقاف الضغوط العربية على منظمة التحرير ، وصد محاولات توظيف الفصائل الفلسطينية لصالح اهداف الانظمة المختلفة . لكن الاحداث التي تلاحقت بعد ذلك اثبتت ان الامر ابعد واخطر ، وان الامر ليس مجرد ضغوط على المنظمة ، وشغب في داخلها ، ولكنه بات يهدد وحدة العمل الفلسطيني ، وينذر بشق عميق قد يشكل ضربة موجهة للصف الفلسطيني .

ومنذ حدث التحرك الاخير في البقاع ، واشارات القادة الفلسطينيين مستمرة الى دور الانظمة في الذي جرى ، وهو الدور الذي تحول من ممارسات تحتية الى تصريحات علنية وخطب في مؤتمرات شعبية تذاع على الملأ ، مما يفتح الباب لمواجهات حادة بين قيادة

المنظمة وبين بعض القيادات العربية .

ان موقف الاطراف العربية الضالعة في ما يجري مدان مرحليا وتاريخيا ، والى ان يتقدم « طرف رشيد » يجمع الاطراف الفلسطينية ويبصر الجميع بالاخطار المحدقة بالجميع ، فان المطلوب من الانظمة العربية ان تلتزم الصمت وترفع ايديها عن الفلسطينيين . وعلى الذين لا يريدون ان يطفئوا النار الا يساهموا في اذكائها وتوسيع نطاقها . ذلك ان الذين يسكبون الزيت على النار المشتعلة لا يدركون ان الشرر يتطاير في الارجاء ، وان استمرار الحريق قد يصيبهم بينما يظنون انهم في مأمن مما يجرى .

ولنذكر الجميع الان بالحديث الشريف : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ، فليقل خيرا او ليصمت !

○ الارهاب الصهيوني المنظم ○

تستغل الحكومة الاسرائيلية الضجة في البقاع ، وتسارع في عمليات تهويد الضفة الغربية والحرم القدسي ، وترحيل المزارعين الفلسطنيين من الضفة ، وذلك عن طريق تنظيمات إرهابية صهيونية ، كشفت تقارير وكالات الأنباء عن أسمائها ، وأنشطتها .

فقد جاء في بعض التقارير في مطلع شعبان ما يلي :

يسود توتر شديد الضفة الغربية المحتلة بعد السماح لليهود بالصلاة في باب المغاربة قرب الحرم القدسي الشريف ، ودعوة وزير اسرائيلي الى تهويد الحرم والسماح لليهود بالصلاة فيه ، فيما صعد المستوطنون من اعتداءاتهم على العرب واطلقوا النار على المزارعين في دير عمار وبديا .

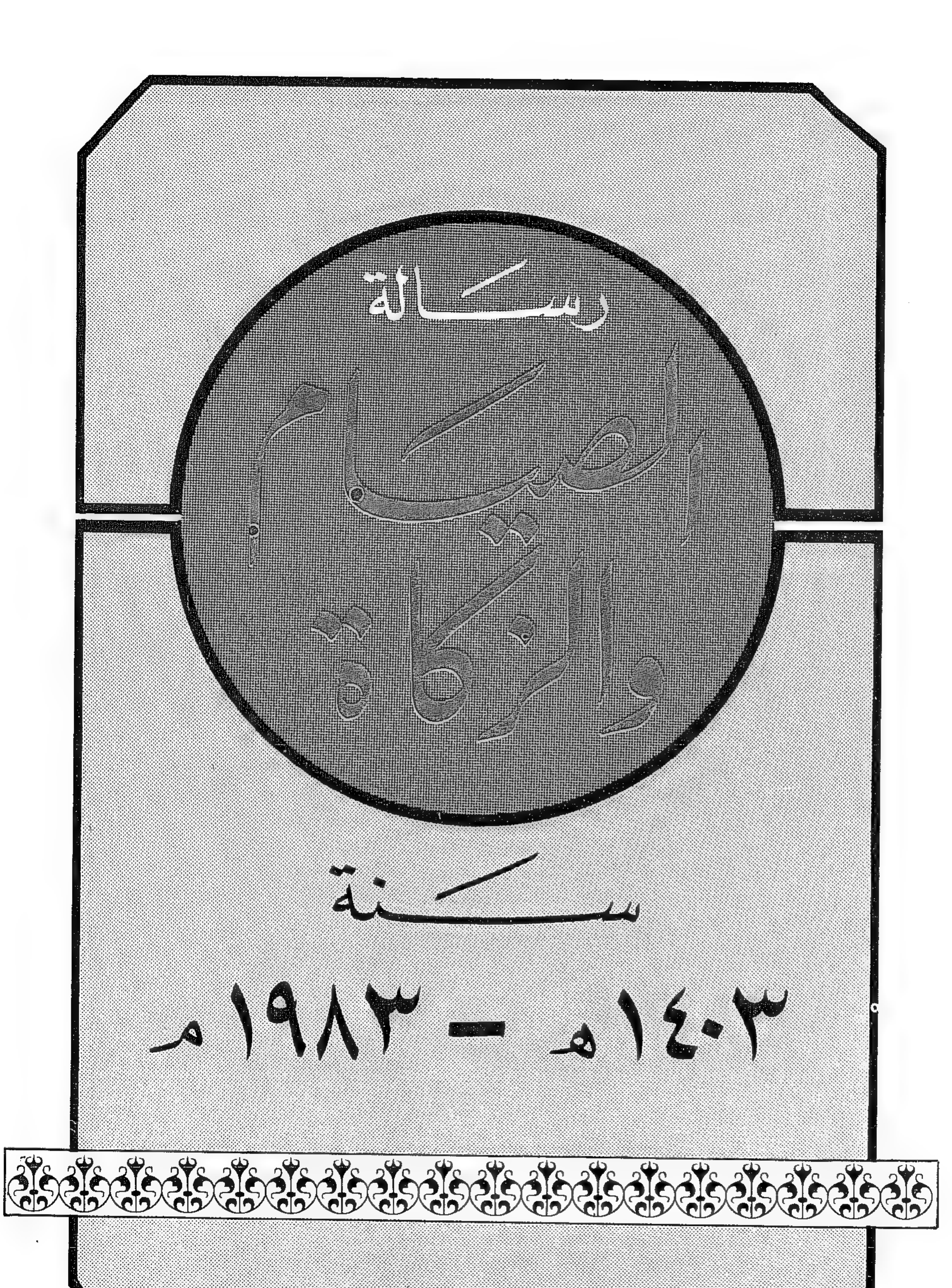
وذكرت وكالات الانباء ان توترا اشد بدأ يسود صفوف المواطنين العرب في مدينة القدس المحتلة اثر صدور قرار من المحكمة الصهيونية العليا بالسماح لأعضاء ما يسمى بحركة « امناء جبل البيت » الصهيونية باداء الطقوس الدينية عند باب المغاربة احد الأبواب المؤدية الى الحرم القدسي الشريف .

وقام اعضاء الحركة بعد اداء الصلوات باكثر من محاولة لاقتحام الحرم القدسي الا ان المواطنين العرب تصدوا لهم ومنعوهم حيث وقعت صدامات حادة مع المعتدين .

من جهة اخرى كشف التلفزيون الاسرائيلي النقاب عن خطة استيطانية جديدة سيتم بموجبها اقامة سلسلة من المستوطنات في منطقتي « قلقيلية ـ ونابلس وفي اللطرون » الى الشمال الغربي من القدس المحتلة واقامة « ١٣ » الف وحدة سكنية في المستوطنات الجديدة التي تقيمها الشركات اليهودية . وفي تلك الاثناء صعد المستوطنون من حملاتهم العدوانية على المواطنين العرب حيث فتح المستوطنون النار على المزارعين العرب في قرية دير عمار شمال رام الله وبديا قضاء نابلس حيث يقاوم الاهالي اوامر اسرائيلية بمصادرة اراضيهم لاقامة مستوطنات .

كما كشف النقاب عن قيام تنظيم جديد اطلق عليه اسم« الدرع في اليد » وهو عبارة عن منظمة صهيونية ارهابية اعلنت مسؤوليتها عن تدمير عدد من سيارات المواطنين العرب هناك . وكانت الانباء السابقة قد تحدثت عن قيام منظمة صهيونية اسمها « عصبة الدفاع » واخرى اطلق عليها اسم « ايجي رووف » وتعني بالعربية « اللكمة » .

وقد اكدت هذه المنظمات الصهيونية استمرارها في القيام باعمال عدوانية انتقامية ضد المواطنين العرب وممتلكاتهم في الارض المحتلة لحملهم على الهجرة خارج فلسطين المحتلة .


رسالة
الصيام
والزكاة
سنة
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م



شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟
ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« **من صام رمضان ايمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ،**

ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

رواه البخاري ومسلم والنسائي

صيام رمضان

تعريف الصوم :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه .

حكمه :

وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف .

دليل وجوبه :

ودليل وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات**) البقرة/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) . البقرة/ ١٨٥ .

ومن السنة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**) .

(رواه البخاري ومسلم)

أركان الصوم

للصيام ركنان :

الاول ـ النية . فلا يصح الصوم إلا بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . ومحلها القلب . وهي واجبة لكل يوم عند جمهور الفقهاء . وعند المالكية تكفي النية الواحدة في اول كل صوم يجب تتابعه كصوم رمضان وصوم الكفارة ، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر كله .. ويقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر للامتناع عن الاكل وغير ذلك . ولا يضر الاكل أو الشرب أو اتيان الزوجة بعد النية ما دام ذلك قبل طلوع الفجر .

الثاني ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل**) البقرة ١٨٧ والمراد بالخيط الابيض

والخيط الاسود بياض النهار وسواد الليل .. ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فَلَفَظَهُ صح صومه أما إذا ابتلعه بعد ذلك فانه يفطر .

شروط وجوب الصوم :

ويشترط لوجوبه : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، والاقامة ـ وألا تكون المرأة حائضا ، ولا نفساء ، ولا حاملا ، ولا مرضعة ، والقدرة على الصوم

الأعذار المبيحة للفطر

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم القضاء :

يباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه ، والمسافر ، ويجب عليهما القضاء لقوله تعالى : (**ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر**)
والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يؤخر الصوم شفاءه والسفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر الصلاة بسببه ، وقد قدره أهل العلم بما لا يقل عن واحد وثمانين كيلو مترا .. ويكره للمريض أن يصوم لما قد يلحقه بذلك من ضرر ، أما المسافر فله أن يصوم وله أن يفطر لما رواه مسلم : قال حمزة الاسلمي « يا رسول الله ، أجد من قوة على الصوم في السفر فهل عليّ جناح فقال : هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . وإذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار أما إذا نوى الصيام وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فجمهور العلماء على عدم جواز الفطر له .. وأجازه بعض العلماء .

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم الفدية :

يباح الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال .. إذا كان الصيام يشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا وجبتين من أوسط ما يأكلون عادة ولا قضاء عليهم .
روى البخاري عن عطاء « أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**) قال ابن عباس ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا » .
والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم والعمال الذين يضطلعون بمشاق الأعمال مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

حكم الحامل والمرضع:

يرى الأحناف ان الحامل والمرضع سواء خافتا على نفسيهما أو على ولدهما فعليهما القضاء ويرى ابن عباس وابن عمر أن عليهما الفدية طعام مسكين عن كل يوم ويرى أحمد والشافعي : أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء . وإن خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية .

المسافرون بالطائرة :

يشاهد المسافرون بالطائرة ، وبخاصة إذا كانت فوق السحاب ، أنهم إذا نظروا إلى الأرض قبيل المغرب لم يروها لأن قرص الشمس غاب عنها بسبب تقوس سطح الكرة الأرضية ، في حين أن نورها يظل ظاهرا على السحاب فترة ، ثم يختفي ، وهم في الوقت نفسه يشاهدون قرص الشمس واضحا وهو يميل إلى الغروب حتى يختفي تماما . ومع الترخيص للمسافر سفرا طويلا بالفطر بشروطه المعروفة ، قد يختار بعض الناس أن يصوموا ، بل قد يلزمهم أحيانا ، وعلى هذا

فمتى يفطر ركاب الطائرة ؟

لا يجوز أبدا أن يفطروا إذا مروا على أرض غاب عنها نور الشمس ، ما داموا هم يرونها ، فان الليل إذا كان قد دخل على سكان الأرض في منطقة فإنه لم يدخل على ركاب الطائرة بعد ، وعلى هذا لا يجوز لهم الافطار إلا بعد غياب قرص الشمس تماما . قال تعالى « **وأتموا الصيام إلى الليل** » وليل الركاب لا يدخل إلا بتواري قرص الشمس عنهم في المغيب .

مبطلات الصيام

مبطلات الصيام قسمان :

○ ما يبطله ويوجب القضاء فقط .

○ ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة .

ما يبطله ويوجب القضاء فقط

١ ، ٢ ـ الاكل والشرب عمداً فإن أكل أو شرب ناسياً أو مكرهاً فلا قضاء عليه ولا

كفارة .
٣ ـ القيء عمداً فان غلبه القيء فلا يبطل صومه .
٤ ، ٥ ـ الحيض والنفاس ولو في اللحظة الاخيرة قبل غروب الشمس ، ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما .. أما الاستحاضة وهي نزول الدم في غير أوقات الحيض فلا تمنع الصوم ولا الصلاة .
٦ ـ إنزال المنى إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي اليه كالاستمناء وتقبيل الزوجة ، والنظر المتكرر لمن عرف أنه ينزل به على ما رآه بعض الأئمة . أما نزول المنى باحتلام فلا يبطل الصيام ولا يبطله المذى ولا الودي .
٧ ـ الردة عن الاسلام ومنها سبُّ الدين واحتقار مقدساته وجحد ما علم منه بالضرورة كوجوب الصلاة .
٨ ـ الجنون والسكر المتسبب فيه والإغماء .
٩ ـ من نقض نية الصيام قاصدا الفطر بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا
١٠ ـ إذا تناول الصائم مفطرا أو فعل ما يفطر ظانا غروب الشمس أو عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند الائمة الأربعة .
وعند بعض الفقهاء صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى (**ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**)
١١ ـ الدخان بجميع أنواعه والنشوق الذي يؤخذ عن طريق الأنف

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

فهو الجماع لا غير
والجمهور على أن الكفارة واجبة مع الرجل والمرأة ما داما قد تعمدا الجماع مختارين في نهار رمضان ناويين الصيام ، ويرى الشافعي وأحمد أنه لا كفارة على المرأة مطلقا وإنما يلزمها القضاء فقط والكفارة عتق رقبة فإن عجز عنه صام شهرين متتابعين فان عجز عن الصيام أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله ويرى بعض الفقهاء أنه مخيّر بين هذه الثلاثة فأيها فعل أجزأته وإفساد كل يوم بالجماع له كفارته الخاصة ويرى الأحناف أن كفارة واحدة تكفي عن إفساد جملة أيام .

كيفية القضاء :

كيفية القضاء : أن يصوم بدل الأيام التي أفطرها في زمن يباح فيه الصوم ، ويجوز له أن يصوم أيام القضاء متتابعة أو متفرقة .
ويسن له التعجيل بالقضاء ، وتجب عليه المبادرة إذا بقى على رمضان التالي بقدر ما يكفي القضاء ، فإذا أخره عن رمضان وجب عليه مع القضاء فدية عن كل

يوم اخره . وذلك إن كان التأخير بغير عذر ، فإن كان بعذر فلا فدية عليه مع القضاء ، ورأى أبوحنيفة عدم وجوب الفدية للتأخير مطلقا ، سواء أكان بعذر أم بغير عذر .

ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه لصحة الحديث بذلك ، وقال الأحناف والمالكية : لا يصوم عنه وليه بل يطعم عن كل يوم مدا .

امور لا تفطر :

وهي نوعان : مكروهة وغير مكروهة .

فالمكروهة منها :

١ ـ مضغ الطعام أو ذوقه ثم مجُّه ، إلا لحاجة كالطاهي فلا يكره .

٢ ـ مضغ العلك « اللبان » الذي لا يتحلل منه شيء ، فان تحلل منه شيء وبلعه بطل صومه .

٣ ـ تمتع النفس بالمتع المباحة من المبصرات والمسموعات والمشمومات ، كتقبيل الزوجة ، ومعانقتها بشرط أمن العاقبة ، وإلا كان ذلك حراما . أما التمتع بالمحرّم كالنظر إلى الأجنبية أو سماع المحرّم أو قوله فهو حرام على الصائم وغيره ، وتشتد حرمته على الصائم ، لأن الصوم يقوم على كفّ النفس عن شهواتها .

٤ ـ الاكتحال والتقطير في العين لغير ضرورة ، والشافعية والأحناف لا يقولون بالكراهة ، ومالك يقول بالحرمة إن تحقق وصول الطعم إلى الحلق ، وإن شك كره . وعند أحمد يكره ، وإن وجد الطعم في الحلق بطل الصوم .

٥ ـ دهن الشعر على رأي الجمهور ، والمالكية يقولون : لو وصل الأثر إلى الحلق بطل الصوم .

٦ ـ الحجامة والفصد للعلاج ، وقال أحمد بالحرمة وبفطر الحاجم والمحجوم .

وغير المكروهة منها :

١ ـ وصول شيء إلى الجوف بنسيان أو إكراه ، أو بسبب يعذر به شرعا ، وذلك عند غير المالكية ، أما هم فيبطلون الصوم بالنسيان والإكراه ، ويوجبون القضاء دون الكفارة .

٢ ـ الابتراد بالماء صيفا ، بغسل أو مضمضة بلا مبالغة ، أما المبالغة في المضمضة والاستنشاق فمكروهة .

٣ ـ ابتلاع الريق ما لم يجاوز الشفة ، فان جاوزها ثم ابتلعه أفطر .

٤ ـ وصول بقايا الطعام التي بين اسنانه بجريان الريق إذا كان عاجزا عن مجه .

٥ ـ وصول غبار الطريق إلى الجوف لمشقة الاحتراز عنه ، وكذلك غبار الدقيق

للطحان ومن يعالجه ، فإن تعمد الابتلاع أفطر .

الصوم مع ترك الصلاة :

من صام وترك الصلاة فقد ترك الأهم في أركان الاسلام فان لم يكن مؤمنا بما ترك كان خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وإن كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه وصحّ صومه كما تصحّ العبادات الأخرى . وإن كان صومه مع ترك الصلاة دليلاً بينا على أنه لم يصم امتثالا لأمر ربه ، وإلا لما ترك الواجب الأول .

صوم المريض بالسُكَّر :

إذا أصيب الانسان بمرض السكر ، فعليه أن يعرض نفسه على طبيب مسلم حاذق موثوق به في دينه ، لفحصه والوقوف على درجة مرضه بواسطة تحليل البول أو الدم أو هما معا وبيان أثر الصوم في حالته ، فإذا طلب منه الإفطار كان عليه أن يفطر حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة ، وإذا أخبره بأن الصوم لا يضره وجب عليه أن يصوم .

صيام الصغار :

الصبي وإن كان الصوم غير واجب عليه إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، قادرا على تحمله ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدربون أولادهم الصغار على الصوم ويرغبونهم فيه بأنواع من اللعب يتلهون بها عن الجوع تقول الربيع بنت معوذ ـ فيما رواه البخاري ومسلم : « كنا نصوِّم صبياننا الصغار ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار » .

الصوم في البلاد القطبية وغير المعتدلة عموما :

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد القطبية حيث يستمر الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما تكون هذه المدة الطويلة نهارا في القطب الجنوبي وفي البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو بالعكس .
فقال البعض تقدر أوقات الصلاة والصوم على أقرب البلاد المعتدلة اليهم .
وقال البعض الآخر تقدر على البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة والمدينة .
وكل من الرأيين جائز فإنه اجتهادي لا نَصّ فيه .

من آداب الصوم

○ إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير » (رواه الترمذي وقال حديث حَسَن) .

○ استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا ، وافتح في أول ساعة منه ، صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر » (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا اللفظ والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

○ ليكن منهجك في الصوم ، التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالحلم والوقار والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ، وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد) .

○ إذا صدرت من غيرك إساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتي هي أحسن ، وذكّر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خُلُقَ الصائم ، وردد ما أمرك الرسول الكريم به في هذا الموقف « فإن شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم .. إني صائم » (من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي) .

○ أقبل على تلاوة القرآن في رمضان ، في ليله ونهاره ، في الصلاة وخارج الصلاة ، فهو شهر القرآن .. ففي الحديث المتفق عليه .. « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله وسلم حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام « أي ربّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان » (رواه أحمد بسند صحيح) .

○ **لا تجعل** شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل ، وضعف الإنتاج ، فهو شهر جَلَدٍ وصبرٍ ، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط إلى العمل ، وينطلق في ميادين

الكفاح ، يملؤها بالجد المثمر ، والسعي البناء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

○ قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان ، فإن الثواب يضاعف فيه ، وإسداء المعروف ، وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم ، يقع في ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، يقول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فَطَّرَ فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من اللبن) » (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال : صح الخبر) .

○ حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ، ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك ، تجنب قول الزور : من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخاري) .

○ تناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فإن الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفىء حرارة العطش ، فإن لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل . هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ : « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

○ عند الافطار ، توجه إلى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » (رواه ابن ماجه) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .
وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، أن تغفر لي » .
○ تناول سحورك قريبا من الفجر ، ففي ذلك عون على النشاط في النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور قبل الفجر بنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنّة بتأخير السحور ، وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » (متفق عليه) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال : خمسون آية » (متفق عليه) .
○ تجنب الافراط في الأكل والشرب ، فإن من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة ، وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام ، وإن عدداً كبيراً من الأمراض الشديدة . والعلل المنهكة ، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمهُ ، وقد جاء في الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب ، في رمضان وغيره فقال عزّ مِنْ قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » (٣١ : الأعراف) .
« **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » .

صلاة التراويح

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة ، وتسن فيها الجماعة ، ووقتها بعد صلاة العشاء .

دليل سنيتها :

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة : ليلة الثالث والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ركعات ، ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .
وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين ، حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام فكانت صلاة التراويح جماعة

مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده . وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : « كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » ـ أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح ، وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ، ووافقه الصحابة على ذلك ، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم ، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التي خرج اليهم فيها ،ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملون العشرين في بيوتهم ، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف ، والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله وسلم يرغب في قيام الليل ، من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي .

ومن الأفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك ، وإلا فليصل بما تيسر له .

وروح الصلاة الخشوع ، فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات ، وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني . وَرُبَّ ركعات قليلة ، تؤدى في صلاة خاشعة ، وقراءة فيها تدبر ، خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها ..!

العمرة في رمضان

للعمرة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة .

روى البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك أن تحجي معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه ـ لزوجها وابنها ـ وترك ناضحاً ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمري . فإن عمرة في رمضان حجة أو نحوا مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي) .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرة في رمضان ، وإن كان لها مثل ثواب الحج ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة .

روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات ، كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته .

عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في

ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وإنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، لفضيلة هذا الشهر ، ولمخالفة الجاهلية في ذلك ، فإنهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ، ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ، ليكون أبلغ في بيان جوازه فيه ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

وقد وقع خلاف حول ما إذا كان الأفضل العمرة في رمضان ، أو في شهر الحج ، فقيل ان العمرة في رمضان لغير النبي أفضل ، وأما في حقه فما صنعه أفضل ، وذلك لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يمنعون الاعتمار في أشهر الحج ، وهذا هو رأي الجمهور .

الاعتكاف

الاعتكاف رياضة روحية وتزكية نفسية وتطهير للقلب والعقل من غلبة أغراض الدنيا على نفس المؤمن .. وتكون في المسجد تفرغا لله سبحانه وتعالى ولعبادته .. .. يلجأ إليها الذين يزدادون شوقا إلى رضى الله ، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبّه ..

ورياضة الاعتكاف رياضة قديمة ، كان يؤديها أصحاب النفوس الشفافة .

روى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله (إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له صلى الله عليه وسلم .. أوْفِ بنذرك) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . « رواه البخاري ومسلم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه ، اعتكف عشرين يوما .

ومعنى الاعتكاف : الإقامة الكاملة في المسجد ، وعدم الخروج منه مدة معينة ، على نية التقرب لله عز وجل ، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه ، وتتأكد سنيته في العشر الأخير من رمضان ، فإذا نذره المسلم ، كان واجبا عليه أن يؤديه .

وليس للاعتكاف وقت محدد ، فمتى مكث الانسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف ، كان معتكفا ، فاذا خرج ، فله أن يجدد النية ، ويجوز ذلك . أما الاعتكاف المنذور ، فيجب عليه أن يؤديه على الوجه الذي نذره به .

أركانه :

١ ـ المكث في المسجد .
٢ ـ النية .

شروطه :
الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل وكونه في مسجد ، ولا يشترط صوم المعتكف ، وإن كان صومه أفضل ، وللمرأة أن تعتكف بإذن زوجها ، فإن منعها فعليها أن تمتنع .
ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، واستحسن البعض المبيت ليلة الفطر بالمسجد ، والغدو إلى صلاة العيد .
ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام دخل معتكفه قبل أن يتبين له طلوع الفجر ويخرج بعد غروب جميع قرص الشمس ، أما إذا نذر اعتكاف ليلة أو ليال ، فإنه يدخل معتكفه قبل مغيب جميع قرص الشمس ، ويخرج بعد أن يتبين له طلوع الفجر .
ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم ، ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .
ويكره له : إشغال نفسه بما لا يعنيه ، من قول أو عمل ، ويكره الصمت عن الكلام ظنا أن الصمت يقرّب من الله .
ويباح له : الخروج لقضاء الحاجة ، وللإتيان بالمأكول والمشروب ، إذا لم يكن له من يأتيه به ، وللمعتكف أن يمشط شعره ، ويحلق رأسه ، ويقلم أظافره ، وينظف بدنه ، ويلبس أحسن الثياب ، ويتطيب بالطيب .

ويبطل الاعتكاف : الخروج عمدا لغير حاجة ، والردة عن الاسلام ، وذهاب العقل بجنون أو سكر ، والحيض أو النفاس أو الجماع أو الانزال . وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه وقيل يجب عليه ذلك .
ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الاقصى وإن نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه وإن نذره في المسجد الأقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة أحب .

ليلة القدر

القَدْرُ هو الشرف العظيم ، ولقد عَظَّمَ الله من شأن هذه الليلة لنزول القرآن فيها قال الله تعالى : (**إنا أنزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع الفجر**) .
وقال صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان) رواه

أحمد والبخاري وأبو داود .

والمشهور أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهو رأي لفريق كبير من الصحابة ، وإحياؤها سنة لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري ، والمراد بالمجاورة ، الاعتكاف ، والدعاء فيها من هدى الرسول الكريم ، روى أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وحكمة إحيائها بالعبادة ، تذكر نعمة الله علينا بإنزال القرآن فيها هدى للناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم وقد احتفل الله بها يكرمها ، فمن واجبنا أن نعرف قدرها ، ونحرص على إحيائها ، والتقرب إلى الله فيها .

صدقة الفطر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبرا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » (رواه أبو داود) .

حكمة مشروعيتها :

ومن هذا يتبين أن الحكمة في فرضها سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم ، وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر ، في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجا بالعيد ، وفي هذا من معنى التكافل والتراحم بين المسلمين ما فيه ، كما أن في إخراجها تقربًا إلى الله ، وتطهيرا للصائم من السيئات التي يكون قد ارتكبها أثناء صومه ، لأن للحسنات آثارها الطيبة في محو السيئات .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها** » رواه أحمد والترمذي .

شروط وجوبها :

وشروط وجوبها : الحرية والاسلام ووجود ما يفيض عن حاجته وحاجة من

تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال ، فلا يجب على العبد إخراجها لأنه لا مال له ، ولكن يخرجها عنه سيده ، ولا على الفقير الذي لا يجد ليلة العيد ويومه فائضا عن حاجة أولاده ، كما لا يجب على من مات قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان ، ولا على من ولد بعد غروبه .

دليل الوجوب :

ودليل وجوبها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين** » - متفق عليه .

مقدارها :

يجب على كل فرد صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن ، فيكون أفضل ويقدر الصاع بنحو خمسة أرطال ونصف من القمح أو الشعير أو الأرز أو الدقيق ويجوز إخراج القيمة نقدا ، حسب السعر الحالي والأسعار تختلف من بلد لآخر .

وقت إخراجها :

يجوز إخراجها من أول رمضان ، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة ، كعدم وجود فقير في البلدة حال إخراجها .

ومن المستحسن استعجال خروجها ، حتى يستعين الفقير بها على ما يحتاجه في رمضان ، وإعداد ما يلزمه هو وأولاده في أيام العيد ، ليتحقق معنى الزكاة والغرض منها في أيام العيد ؛ فإن الفقير قد يحتاج إلى ثياب له ولأولاده فلا بد من إعطائه فرصة يتمكن فيها من إعداد الثياب والحاجيات الأخرى اللازمة له ولأولاده .

ولا يجوز نقلها من بلدة إلى أخرى . أو من منطقة إلى أخرى ، إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، كما لو اكتفى أهل البلد أو المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون ، أو كان له قريب فقير في بلدة أخرى قريبة من المكان الذي يقيم فيه يريد أن يعطيه جزءا منها وعند الأحناف لا يكره نقلها الى أي بلد فيه قرابة محتاجون أو من هم أحوج من أهل البلد أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم ونحوه .

والأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها ، وله أن يزيد فقيرا عن آخر في الاعطاء نظرا للحاجة أو لقربه منه .

عمن يخرجها ..؟

يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من الزوجة والأقارب

وهم : الوالدان الفقيران والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم .

لمن تصرف ؟

تصرف لمن يوجد من الفقراء المحتاجين الذين لا يكفي دخلهم لسد حاجاتهم ومنهم المسافرون المغتربون الذين لا مال لهم بأيديهم ينفقون منه على شؤونهم وإن كان لهم مال في بلدهم . وكذلك الدور المشرفة على الفقراء والداخلون في الاسلام المحتاجون للمعونة والذين لا يجدون ما ينفقون حتى تتيسر لهم سبل العيش .

صلاة العيد

دليل شرعيتها :

لم يغفل الاسلام ناحية الأعياد لدى أتباعه ، لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة ، حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح فيها ، وتستجم من عناء العمل ، وأعياد كل أمة ترتبط إما بدينها أو بحوادث هامة ، لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، لذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهرا من مظاهر شخصيتها .

ولأجل هذا لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : عيد الفطر ، بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ، وعبادتهم لله ، وعيد الأضحى ، بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج ـ وهو الوقوف بعرفة ـ ويفرحوا ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ماهذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود .

التكبير :

يندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والعطاء للبائسين .

ووقت التكبير لم تتفق المذاهب على تحديده ، ولذا نختار لك منها أن يبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، وحتى يصعد الإمام

على المنبر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى (**واذكروا الله في أيام معدودات**) قال ابن عباس : « هي أيام التشريق وهي اليوم الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة » .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو في الطريق أو في المجالس .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : (الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد) .

وزاد بعض المذاهب (الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا إلى آخر الصيغة المشهورة) . على أن يكون معلوما أن ذلك كله أمر مندوب فلا يجوز أن يحتدم الخلاف حوله بين المسلمين .

حكمها :

عند أكثر المذاهب سنة عين مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة وأداؤها مع الجماعة سنة عند الشافعي فله أن يصليها منفردا وقال الآخرون : الجماعة شرط بلا أذان ولا إقامة .

وقتها :

من ارتفاع الشمس ولو قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال والأفضل التعجيل بها والمسارعة إلى أدائها وتحديد وقتها رغبة في اجتماع المسلمين حتى يؤدوها في جماعة ثم ينصرفوا إلى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم وتقوي روابطهم .

كيفيتها :

وصلاة العيد : ركعتان كغيرهما من النوافل غير أنه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ، ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات (الله أكبر) يفصل بين كل تكبيرتين بقدر آية صغيرة وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة . أما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام ، يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في القراءة .

ويندب أن يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (سورة الأعلى) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة (سورة الغاشية) وإن كان له أن يقرأ بما شاء ، وإذا أدرك الامام في بعض التكبيرات تابعه في التكبير ولا يعيد ما فاته منها، ولو نسى المصلي التكبير ، ودخل في القراءة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام أو القيام فلا يعود للتكبير وصلاته صحيحة .

أين تؤدي صلاة العيد ..؟

يستحسن أداؤها في الصحراء في غير مكة وخاصة إذا كانت قريبة من العمران ، بخلاف الشافعية فإنهم قالوا إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر ، كضيقه ، فيكره الزحام فيه وتسن حينئذ في الصحراء .

ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلى العيد ماشيا إن أمكن وأن يجهر بالتكبير ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة .

والأجدر أن يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر ، ومن السنة أن يأكل قبل خروجه الى مصلاه في عيد الفطر ، تحقيقا لمعنى الفطر ، أما في عيد الأضحى فيندب تأخير الأكل .

لا صلاة قبلها ولا بعدها :

لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها : قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله وسلم يوم عيد فصلى ركعتين ، لم يصل قبلهما ولا بعدهما » (رواه الجماعة) .

الخطبة :

وبعد أن ينتهي الامام من صلاة العيد ، يصعد المنبر ، ويخطب خطبتين خفيفتين ، يرشد الناس فيهما إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد ، من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه وهما كخطبتي الجمعة ، غير أن خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة ، وأما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة .

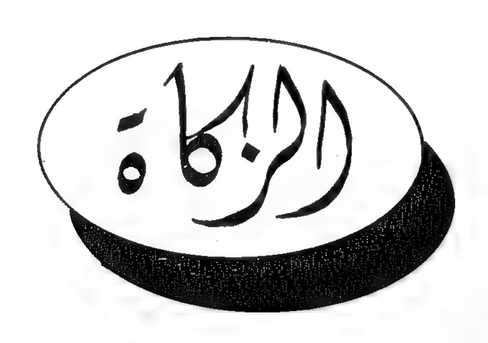
كما أن خطبتي الجمعة ، تفتتحان بالحمد لله ، وأما خطبتا العيد ، فإنهما تفتتحان بالتكبير ، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعا وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعا ، وتختم بقول الله تبارك وتعالى .

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) (الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢) .

اجتماع العيد والجمعة :

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ، وجب عند الأئمة الثلاثة أداء كل صلاة منهما في وقتها المشروع ، فتصلي صلاة العيد في وقتها ، وتصلي الجمعة في وقتها ، ويرى الامام أحمد أنه إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد ، ويصلي الظهر بدلها .

ومن السنة اظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، ويدعو الاسلام إلى التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة .. فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » قال الحافظ : إسناده حسن .



قال تعالى :
« وأَقيمُوا الصلاةَ وآتوا الزكَاةَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمون » .

روى الطبراني في الاوسط والصغير عن علي كرم الله وجهه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الله فرض على اغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصنع أغنياؤهم . الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا أليما » .

أحكام الزكاة

تعريف الزكاة :

الزكاة اسم لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى المستحقين . وسميت زكاة لما يكون فيها من تزكية النفس وتطهير المال ونمائه .

حكمها :

فرض . وهي ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية . ودليل فرضيتها الكتاب ، والسنة ، واجماع الأمة ، وكانت فريضة الزكاة في أول الاسلام بمكة مطلقة لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه ، ولا مقدار ما يؤخذ منه ، وانما ترك ذلك لاحساس المسلم وكرمه وسخاوة نفسه ، وفي السنة الثانية من الهجرة على المشهور فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال وبينت بيانا مفصلا .

دليلها :

دليلها من الكتاب قول الله تعالى : **(وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** .. النور/٥٦ .

ومن السنة المطهرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **(بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان)** .

حكم مانعها :

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة ، فلو أنكر وجوبها مسلم خرج عن الاسلام ، الا اذا كان حديث عهد بالدين ، فإنه يعلم ويعذر لجهله .

اما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم ولا يخرج عن الاسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويعزره ، ولو امتنع جماعة من المسلمين عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها ، وكانت لهم قوة ومنعة ، فانهم يقاتلون عليها حتى يعطوها .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني**

دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ».

على من تجب الزكاة : ؟

تجب الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أي نوع من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة ,

الأموال التي تجب فيها الزكاة :

أوجب الاسلام الزكاة في الذهب ، والفضة ، والزروع ، والثمار ، وعروض التجارة ، والسوائم والمعدن ، والركاز .

زكاة الذهب والفضة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم . وليس عليك شيء -يعني في الذهب -حتى يكون لك عشرون دينارا . فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار . والدينار وزنه مثقال**) رواه ابو داود .

بهذا الحديث تحدد المقدار الذي تجب فيه الزكاة وهو ما يسمى (نصابا) كما تحددت نسبة الزكاة وهي في الذهب والفضة ربع العشر .

والمثقال في عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة لم يتغير وزنه وهو يساوي $\frac{١}{٤}$ ٤ غرام . فالنصاب في الذهب على هذا يساوي ٨٥ غراما من الذهب الخالص وليس المثقال النبوى الذي يحسب به نصاب الذهب مساويا للمثاقيل المستعملة الآن كالمثقال العجمي وهو (٤,٨) غراما والمثقال العراقي (٥) غرامات .... وهذا ما افاد به بعض تجار الذهب بالكويت

واما درهم الفضة فوزنه ٢,٩٧٥ غراما فنصاب الفضة على هذا ٥٩٥ غراما .

فاذا كنت تملك ذهبا او فضة على شكل سبائك او عملة تتعامل بها ، فان بلغ وزن الذهب عشرين مثقالا « نبويا - (٨٥ غراما)» وبلغت الفضة مائتي درهم « ٥٩٥ غراما » فقد وجبت فيها الزكاة (ربع العشر) وما زاد على هذا المقدار فبحسابه فتخرج عن كل زائد ربع عشره .

.. وإن كان ابو حنيفة لا يرى في الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب ، فيكون فيه ربع العشر .. فمن يملك مائتي درهم فضة فزكاته خمسة دراهم .

وتحسب قيمة الزكاة بالعملة الجارية ويوزعها فاذا كانت زكاته مثلا خمسة دراهم فضة أخرج قيمة هذه الدراهم بالعملة السائدة في بلده وحسب السعر

الجاري وكذلك الامر في الذهب .. ولا مانع من اخراج زكاة الذهب ذهبا ، وزكاة الفضة فضة .

زكاة العملات الجارية

زكاة العملة المعدنية

التعامل الجاري الآن لا يتم غالبا بالعملة الذهبية أو الفضية وكل دولة من الدول لها عملتها ونقودها السائدة وهي قد تكون من نحاس أو نيكل أو ألمنيوم .

وقيمة هذه العملات كلها مرتبطة بالعملة الورقية السائدة ومن الممكن تحويلها إليها . لهذا كله نرى أن فيها زكاة مع العملات الورقية فيزكيها إذا بلغ ما عنده منها قيمة النصاب فيخرج عنها ربع العشر .

زكاة العملة الورقية .

إذا بلغ ما يملكه المسلم منها ما قيمته عشرون مثقالا من الذهب ففيها الزكاة وتحسب زكاة العملة الورقية على اساس نصاب الذهب .

حيث انه اعلى قيمة من نصاب الفضة في عصرنا الحاضر .

ويجب ان نلاحظ بعناية ان قيمة الذهب والفضة تختلف من زمن الى زمن ومن بلد إلى بلد كما هو معروف .

وعلى هذا يجب ان يراعي كل انسان القيمة السائدة للذهب في بلده وقت اخراج الزكاة ، وهذا يؤدي بالتالي الى ان مقدار النصاب من العملة الورقية الذي تجب عليه الزكاة قد يختلف في الكويت مثلا عنه في السعودية .. في مصر .. في العراق .. الخ وذلك حسب سعر الذهب فيها .

كما أن نصاب الزكاة قد يختلف ايضا من سنة الى سنة في البلد نفسه وذلك حسب اختلاف سعر الذهب . وهذا ما يجب أن يتنبه إليه الناس جيدا ولا سيما المفتون من العلماء ولا يعتمدون على أرقام المبالغ التي دونت في الكتب من قبل لأنها حسبت على اساس سعر الذهب والفضة في زمنهم والأسعار متغيرة كما نعرف ومادام وزن النصاب ثابتا حسب النص فانه من الممكن حساب قيمته كل سنة حسب الأسعار يوم وجوب إخراج الزكاة .

كيف تحسب زكاة العملة ؟

اعرف كم يساوي العشرون مثقالا من الذهب بالعملة الجارية فاذا وجدت ان عندك قيمة العشرين مثقالا من العملة الورقية او من العملة المعدنية كالنحاس والنيكل فانك تكون حينئذ قد ملكت النصاب وعليك ان تعرف اليوم الذي بدأ فيه ملكك لنصاب كامل ليكون بدء سنة الزكاة .

ونصاب الذهب كما قلنا هو ٨٥ غراما من الذهب الخالص ، ونصاب الفضة هو « ٥٩٥ » غراما من الفضة الخالصة ... وعلى هذا فلو كان عندك ٢٥٠ دينارا كويتيا فقط وحال عليها الحول وكان سعر الذهب يوم وجوب اخراج الزكاة هو ٣,٢٥٠ دينارا للغرام فانه لا زكاة عليك لان قيمة النصاب هي :
٨٥ × ٣,٢٥٠ = ٢٧٦,٢٥٠ دينارا .

فيكون ما عندك اقل من نصاب ..
وعندنا سؤال يقوم في الأذهان ...
وهو : لنفرض ان النصاب توفر في وقت من الأوقات كان بدء سنة الزكاة ولكن هذا المبلغ نقص أثناء السنة ثم زاد حتى بلغ نصابا او اكثر عند تمام السنة ، فما الحكم في هذه الحالة ؟ الامام ابو حنيفة يرى انه لا يضر النقصان عن النصاب أثناء السنة إذ أن العبرة عنده بوجوده في أولها وعند نهايتها وعلى ذلك يرى وجوب الزكاة في هذه الحالة .
أما غيره فيرى أنه لا بد من وجود النصاب طوال السنة بحيث لو نقص في يوم من ايامها انقطعت السنة فاذا زاد حتى بلغ النصاب في يوم من الأيام بدأ حساب سنة جديدة من وقت بلوغه النصاب .

زكاة الحلى :

اعتاد الناس أن يتخذوا من الذهب والفضة حليا للزينة كما اعتاد بعضهم أن يستعمل بعض الأدوات المتخذة منهما كالملاعق ، والشوك ، والأطباق والتحف وما إلى ذلك ... فهل تكون عليها زكاة .. ؟
قال جمهور الأئمة إن كان المصنوع من الذهب أو الفضة حليا مباحة فلا زكاة فيه .
وقال الامام أبو حنيفة بل تجب في الحلى المباحة زكاة .

ومن المعلوم ان المرأة هي التي يباح لها فقط التحلي بالذهب والفضة ولا يباح للرجل التحلي بالذهب مطلقا ، ولا بالفضة إلا بقدر خاتم صغير منها ، اما استعمال الأواني والتحف من الفضة او الذهب فحرام على الرجل والمرأة معا بالاجماع وعلى هذا تجب الزكاة على ما يتخذه الرجل من زينة ذهبية او فضية وعلى كل الاواني المصنوعة منهما المملوكة للرجل او المرأة وتحسب على اساس نصاب الذهب أو الفضة كما قدمنا . والذين قالوا بعدم وجوب الزكاة في حلى المرأة قالوا اذا اتخذت المرأة حليها مادة ادخار حتى لتجدها احيانا زائدة عن حد الزينة لمثلها يقولون بوجوب الزكاة عليها لأنها خرجت عن الغرض المقصود منها وهي الزينة الى الادخار ...

الحلى من الجواهر :

وقد اعتاد البعض التحلي بخواتم او بعقود من الماس او اللؤلؤ او غيرها من الأحجار الكريمة الغالية الثمن حتى ليصل ثمن الخاتم الى عدة آلاف كما يصل ثمن العقد إلى عشرات الألوف فهل في هذه الحلى زكاة ؟
والجواب أن هذه الحلى لم يرد النص بتحريمها ، ومن ثم فهي مباحة كما لم يرد نص بالزكاة عليها ، ومن ثم لم يقل احد من الفقهاء ان عليها زكاة حتى الذين قالوا إن في حلى الذهب والفضة المباحة زكاة كالامام أبي حنيفة .
ومع ذلك فانها لو اتخذت بقصد الادخار لأجل الاستثمار ببيعها في المستقبل فانه يكون لها شأن آخر إذ في هذه الحالة عليها زكاة على حسب قيمتها في اخر كل عام .

زكاة الدين

للأئمة والفقهاء المجتهدين أراء وتفصيلات كثيرة حول زكاة الدين مذكورة في كتب الفقه ... ومن خلال هذه الآراء والتفصيلات يمكن ان نختار لك هذا الموجز .
فالدين الذي لك على آخر او آخرين إما أن يكون :
١ ـ دينا حيا « أو قويا » وهو ما كان المدين معترفا به مستعدا لسداده في وقته او عند طلبه .
٢ ـ أو دينا على معسر لا يرجى منه السداد أو على مماطل او جاحد له غير معترف به وليس لك به بينة .
● والقسم الأول وهو الدين الحي يرى جمهور الأئمة ان على الدائن زكاته بالشروط السابقة في زكاة المال الا أنه لا يجب عليه اخراج زكاته الا بعد قبضه ويزكى عن المدة الماضية كلها سنة او اكثر .
اما اذا كان الدين من النوع الثاني وهو ما يكون على معسر أو مماطل او جاحد فأكثر الأئمة على أنه لا زكاة فيه ، وإن كان الامام مالك يرى أنه إذا قبضه فانه يزكي عنه لعام واحد فقط ولو مكث عند المدين أعواما .

ومن عليه دين ؟
ومن كان عليه دين يستغرق كل ماله أو بعضه فهل عليه زكاة ؟ قال الشافعية .... نعم عليه زكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصابا .
وقال الحنفية .... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال مقابل للدين الا زكاة الزروع والثمار فانها تجب .

وقال المالكية والحنابلة ... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال الا زكاة الزروع والثمار والماشية فانها تجب .

ونحن نميل الى الأخذ برأي الذين يقولون لا زكاة عليه في المقدار الذي يساوي الدين الذي عليه فان طابت نفسه فليفعل ما هو أنفع للفقراء بأن يزكي جميع ما تحت يده من مال ، ولو كان يقابل دينا عليه ، مادام يتصرف بالمال ولا يعاجله الدائن بالمطالبة .

زكاة عروض التجارة

اذا كان الانسان يتاجر في أي سلعة من السلع وجب عليه أن يخرج الزكاة اذا بلغت قيمة السلعة الجارية نصابا عند تمام الحول .

والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والبيهقي عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة (الزكاة) مما نعده للبيع .

وما رواه ابو عمرو بن حماس عن أبيه قال : كنت أبيع الأدم (الجلد) والجعاب (جمع جعبة وهي التي تحمل فيها السهام) فمر بي عمر بن الخطاب فقال : أد صدقة مالك . فقلت يا أمير المؤمنين انما هو الأدم قال : قومه ثم اخرج صدقته .

فكل سلعة يتاجر فيها الانسان سواء اكانت أصلا من الاصناف التي تزكي كالحبوب والماشية أم لم تكن كالأقمشة والأشياء المصنوعة والأرض ، والعقارات والاسهم وغيرها تجب الزكاة فيها بالشروط الآتية : ـ

١ ـ أن تكون عنده نية التجارة فيها .

٢ ـ أن تبلغ قيمة السلعة او السلع التي يملكها ويتاجر فيها نصابا عند تمام السنة .

والنصاب المعتبر هنا هو النصاب المذكور في زكاة الذهب والفضة ، فيأتي المالك آخر العام ويجري جردا عاما لممتلكاته التي يتاجر فيها ، ويحسب قيمتها وقت الجرد ، ولا يدخل في ذلك قيمة الاثاث والأجهزة الموجودة في المحل اللازمة للتجارة ، فان بلغت قيمتها حسب سعر السوق نصابا أو زادت زكاها باخراج ربع عشرها وإلا فلا زكاة وكل تاجر في بلده يخرج زكاته على أساس قيمة النصاب المالي فيها كما قلنا في زكاة العملة الورقية . ولا يضر نقصان قيمة البضاعة عن النصاب اثناء الحول إذ العبرة بالقيمة عند تمامه . وتقويم السلع التجارية يكون على أساس قيمتها بالعملة الجارية في بلده .

وإذا كانت له عدة محال تجارية فانها تضم بعضها إلى بعض وتحسب قيمة ما في هذه المحال ويخرج عنها الزكاة وهي ربع العشر وإذا ملك أرضا أو عقارا أو مثل ذلك بغير نية التجارة فلا زكاة في هذه الحال ، فاذا نوى التجارة بدأت سنة الزكاة

من حين نيته التجارة فيها ...

ويلاحظ أن الربح يضم إلى رأس المال عند الجرد السنوي الختامي وتؤدي الزكاة عن الجميع فلو بدأت التجارة مثلا بثلاثمائة دينار وفي اخر العام بلغت خمسمائة دينار فالزكاة واجبة على الخمسمائة دينار .

ومعلوم أن التاجر عندما يعمل حسابه الختامي في آخر العام يحسب ما له من الديون الحية على الآخرين ويسقط من ذلك ما عليه للآخرين ـ ان شاء ـ أو يجعله مما تشمله الزكاة .

ويعرف بعد ذلك قيمة ما يمتلكه ويضم اليه ماله المدخر ان كان وعلى هذا تكون الزكاة . اللهم إلا اذا كان له دين على تاجر مفلس او عميل لا ينتظر منه السداد فلا يحسب فيما تجب فيه الزكاة .

زكاة التأمين النقدي :

التأمين النقدي الذي يدفعه المستأجر للمالك مال مملوك للمستأجر مودع عند المالك ضمانا لسداد الاجرة في مواعيدها فتجب زكاته على مالكه (المستأجر) لا على المؤجر اذا توفرت شروط الوجوب .

زكاة العقار :

العقار الذي يتجر فيه صاحبه بالبيع والشراء حكمه حكم السلع التجارية ويزكي زكاة عروض التجارة والعقار الذي يسكنه صاحبه ، او يكون مقرا لعمله كمحل للتجارة ومكان للصناعة لا زكاة فيه ، والعقار الذي يستغله مالكه بالايجار لا زكاة في عينه ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشروطها اذا توفرت من النصاب الزائد عن حاجته والحول .

زكاة الاسهم

يرى بعض الفقهاء المعاصرين ان الاسهم التي تتخذ للتجارة تجري فيها زكاة عروض التجارة ومقدارها ربع العشر في قيمتها بعد حولان الحول كما تقدم .

اما الأسهم التي لا يقصد صاحبها التجارة وانما قصد ارباحها كالشركات الزراعية والصناعية فتجب الزكاة في غلاتها بعد حسم كل النفقات والقدر الواجب اخراجه هو عشر الصافي من الغلة ويرى بعض العلماء ان تزكي الاسهم بحسب موجودات الشركة المتداولة بعد طرح ما عليها من الديون ، فيزكي الصافي بنسبة

ربع العشر بقطع النظر عما تحققه الشركة من ارباح .

زكاة الزروع والثمار

وردت أيات من القرآن الكريم تأمر المؤمنين بالانفاق مما اخرجته الأرض ، ومنها أخذ الفقهاء وجوب اخراج زكاة الزروع . والثمار ، وان اختلفت وجهة نظرهم في الأصناف التي تؤخذ عليها زكاة والأصناف التي لا تؤخذ عليها ، يقول الله تعالى في سورة الأنعام آية (١٤١) : **(وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده)** .

ويقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) (٢٦٧ سورة البقرة) .

ويقول عليه الصلاة والسلام ... (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر) رواه الجماعة الا مسلما .

والعثري بفتح العين والثاء وكسر الراء الذي يشرب بجذوره لأنه عثر على الماء في باطن التربة فلم يعد في حاجة الى سقي .

اما النضح فهي آلة السقي كالساقية والماكينة ونحوهما .

الاصناف التي تزكى منها :

والذي يتتبع آراء الأئمة حول الأصناف التي تجب فيها الزكاة يجدهم مختلفين في وجهات نظرهم حولها .

فيرى الأحناف أن الزكاة واجبة في كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، لا فرق بين حبوب وخضر وثمار وفواكه ، فكل ما يزرعه الانسان عليه زكاة ، مع استثناء نحو الحطب والقصب الفارسي والأشجار غير المثمرة وهي واجبة عندهم في القليل والكثير .

أما جمهور الأئمة فيرون أن الزكاة واجبة في ثمار النخل والكرم وفي كل ما يزرع للقوت بشرط ان يكون صالحا للادخار كالقمح ، والشعير ، والارز ، والذرة ، واللوبيا ، والحمص ، والعدس ونحو ذلك ، ويزيد الامام أحمد على هذا أنه لا يشترط ان يكون ما يدخر صالحا للأكل فيوجب الزكاة على ما يدخر ولو كان غير صالح للأكل كحب الفجل والفواكه والقطن والكتان وما شابه ذلك .

وتجب الزكاة في الثمار عند نضجها واستطابة أكلها كما تجب في الزروع بعد قوتها واشتدادها وتصفيتها ، فاذا قطعت قبل نضجها أو بدو صلاحها واشتدادها فلا زكاة عليها .

نصاب الزكاة فيها :

وقد سبق ان عرفت ان الامام أبا حنيفة يوجب الزكاة في القليل والكثير ولا يشترط بلوغها نصابا .

اما الآخرون فانهم يشترطون مع ما تقدم ان تبلغ الثمار او الزروع النصاب ، وهوخمسة أوسق حسب نص الحديث السابق ، وذلك بعد تصفية نحو الازر من قشره ومن الطين والتراب وبعد جفاف الثمر .

والوسق قدره الرسول صلى الله عليه وسلم بستين صاعا بصاع المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون النصاب ثلاثمائة صاع ، **والصاع قدح وثلث** .

ولا شك أن المكاييل تغيرت الآن عما كانت عليها في عهد الرسول وقد قدر بعض العلماء النصاب حسب المكاييل الحاضرة بأربعة **أرادب وكيلتين** .. والأردب اثنتا عشرة كيلة ..

وعلى هذا فمن يعرفون عندهم الآن مقدار الصاع المدني فأمامهم مقدار النصاب بالصيعان ومن لا يعرفونه فأمامهم قدر النصاب حسب الكيل المعمول به في مصر الآن ..

وقد قدر بعض العلماء النصاب بالوزن فقالوا أنه يبلغ بالرطل البغدادي قديما (وهو نحو ١٢٩ درهما) ١٦٠٠ رطل بغدادي وبالرطل المعمول به الآن ١٤٢٩ رطلا ..

ولكن لو لجأنا إلى الوزن فسنجد أن الحبوب بعضها ثقيل كالأرز مثلا وبعضها خفيف كالشعير **والذي اعتبره العلماء منها هو البر الرزين** .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية المجلد ١٤ ص ١٠٥ ان مد النبي صلي الله عليه وسلم يساوى : ٠,٧٥ لترا على وجه التقريب والصاع أربعة امداد فيكون الصاع على هذا ثلاثة التار كيلا تقريبا واللتر معروف لدى المواطنين في معظم الدول الاسلامية .

المقدار الواجب إخراجه :

نَصُّ الحديث الوارد الذي ذكرناه من قبل بين لنا هذا ، ففي كل زرع يسقى بماء المطر أو بماء الأنهار دون تكلفة من الزارع فزكاته العشر ، أما اذا سقي بالساقية أو الماكينة أو الشادوف أو نحو ذلك مما يتكلفه الزارع في سقيه ، فزكاته نصف العشر .

وإذا سقي نصف المدة بهذا ونصفها الآخر بذاك فزكاته ثلاثة أرباع العشر ، والمرجع في هذا ضمير الزارع وورعه الديني .

زكاة الأنعام

الأصناف التي تجب فيها الزكاة هي : الابل ، والبقر ، والجاموس ، والغنم والماعز ولا يزكي عنها إلا بشروط أربعة :

١ ـ أن تكون سائمة أي ترعى الكلأ المباح أكثر السنة وهذا الشرط عند الجمهور ، أما المالكية فانهم لا يشترطون السوم في وجوب زكاة النعم ، بل تجب سواء أكانت معلوفة أم سائمة .

٢ ـ أن تتخذ الماشية للدر والنسل والتسمين لا للعمل .. وهذا أيضا على رأي الجمهور بخلاف المالكية فانهم لا يشترطون هذا الشرط بل يرون أن الزكاة واجبة في النعم سواء أكانت عاملة أم غير عاملة .

٣ ـ أن تبلغ نصابا معينا كما سنوضحه فيما بعد .

٤ ـ أن يحول عليها الحول الا ما تولد منها أثناء العام ، فانه لا يشترط لوجوب الزكاة فيه مرور عام جديد ولكن يزكي مع الكبار عند تمام عامها . واليك بعد هذا نصاب كل نوع والمقدار الواجب فيه :

زكاة البقر

نصاب البقر والجاموس ثلاثون منها فليس في أقل من ذلك زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

من ٣٠ الى ٣٩	تبيع أو تبيعة وهو ماله سنة .
ـ من ٤٠ الى ٥٩	مسنة وهي مالها سنتان .
ـ من ٦٠ الى ٦٩	تبيعان .
ـ من ٧٠ الى ٧٩	مسنة وتبيع
ـ من ٨٠ الى ٨٩	مسنتان
ـ من ٩٠ الى ٩٩	ثلاثة أتباع
ـ من ١٠٠ الى ١٠٩	مسنة وتبيعان
ـ من ١١٠ الى ١١٩	مسنتان وتبيع

وهكذا فيما زاد على ذلك ففي كل ثلاثين منه تبيع ، وفي كل أربعين مسنة . ولا شيء في الوقص ، وهو ما بين الفريضتين .

زكاة الابل

نصاب الابل خمس منها فليس في أقل من خمس زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٥ الى ٩	شاة
ـ من ١٠ الى ١٤	شاتان
ـ من ١٥ الى ١٩	ثلاث شياه
ـ من ٢٠ الى ٢٤	اربع شياه
ـ من ٢٥ الى ٣٥	بنت مخاض (وهو التي دخلت في سنتها الثانية)
ـ من ٣٦ الى ٤٥	بنت لبون (وهي التي دخلت في سنتها الثالثة)
ـ من ٤٦ الى ٦٠	حقة (وهي التي دخلت في سنتها الرابعة)
ـ من ٦١ الى ٧٥	جذعة (وهي التي دخلت في سنتها الخامسة)
ـ من ٧٦ الى ٩٠	بنتا لبون
ـ من ٩١ الى ١٢٠	حقتان

فاذا زادت ، ففي كل اربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة .

زكاة الغنم

القدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٤٠ الى ١٢٠	شاة لها سنة
ـ من ١٢١ الى ٢٠٠	شاتان
ـ من ٢٠١ الى ٣٩٩	ثلاث شياه
ـ من ٤٠٠ الى ٤٩٩	اربع شياه
ـ من ٥٠٠ الى ٥٩٩	خمس شياه

وهكذا ففي كل مائة شاة .

هذا ويجوز إخراج الذكور في الزكاة اتفاقا إذا كان نصاب الغنم كله ذكورا فان كان إناثا فقط أو اناثا وذكورا ، جاز إخراج الذكور عند الأحناف وتعينت الأنثى عند غيرهم .

المعْدِن والركاز

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى أودع أرضه الكثير من خيراته وادخرها لبني آدم ومكنهم من نيلها بجهد قليل .. ونعم الله تقابل بالشكر عليها والانفاق منها في سبيله سبحانه ..

ولذلك أوجب الله تعالى على من استخرجها حقا ليعم الانتفاع بتلك الثروات

العظيمة ويعود نفعها على مستخرجها وعلى الجماعة الاسلامية .
وكذلك ما قد يجده الانسان في الأرض من الكنوز التي لا يعرف لها مالك أثبت الشرع فيها حقا .
قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**) وهذا يشمل ما تنبته الأرض من الزروع والثمار وما استخرج من الأرض مما أودعه الله فيها من المعادن والكنوز .
والمعادن : لغة المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض ، وقيل المعادن تلك المواد نفسها ، كالذهب والفضة والنحاس ، والنفط ، والكبريت .
وتطلق في عصرنا الحاضر على مواد معينة منها الذهب والفضة والنحاس وليس منها النفط والكبريت ونحوها .
والكنز : المثبت في باطن الأرض من الأموال بفعل الانسان .
والركاز : **يشمل النوعين** : **المعادن والكنوز** .
فالركاز ما يوجد في باطن الأرض مما أودعه فيها الخالق أو المخلوق .

القدر الواجب في الركاز :

كل ما استخرج من باطن الأرض وجب فيه الخمس (٢٠٪) . لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (في الركاز الخمس) .
ثم إن ما يؤخذ مما يستخرج من المعادن فهو زكاة ، وأما ما يؤخذ من الكنوز فقد قيل هو فيء فيصرف في المصالح العامة ، وقيل هو زكاة فيصرف في مصارف الزكاة .

مصارف الزكاة

حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فقال سبحانه :
« **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » .
فمصارفها اذن كما يتبين من الآية الكريمة ثمانية :

(١ ـ ٢) الفقراء والمساكين :

هم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم ويقابلهم الأغنياء وهم المكفيون ما يحتاجون اليه ، والقدرالذي يصير الانسان به غنيا هو قدر النصاب الزائد عن الحاجات الأصلية له ولأولاده ومن تلزمه نفقتهم من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ومركب ، وآلة حرفة ، ونحو ذلك فكل من عدم هذا القدر فهو فقير يستحق

الزكاة والفرق بين الفقراء والمساكين من حيث الحاجة والفاقة .

فالمساكين هم الذين لا يملكون شيئا ولا يكتسبون شيئا ، والفقراء هم الذين يملكون او يكسبون اقل مما يقوم بكفايتهم وقيل عكس ذلك .

٣ ـ العاملون عليها :

وهم الذين يوليهم الامام أو نائبه العمل على جمع الزكاة من الأغنياء ، ويدخل فيهم الحفظة لها والرعاة لانعامها والكتبة لديوانها ، ويجب أن يكونوا من المسلمين وألا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة ويجوز أن يكونوا من الأغنياء .

٤ ـ المؤلفة قلوبهم :

وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام أو تثبيتها عليه لضعف إسلامهم أو كف شرهم عن المسلمين أو جلب نفعهم في الدفاع عنهم .

٥ ـ في الرقاب :

ويشمل المكاتبين ، فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق ويشتري به العبيد ويعتقون .

٦ ـ الغارمون :

وهم الذين تحملوا الديون ، وتعذر عليهم اداؤها كمن التزم في ذمته دينا ليدفعه في اصلاح ذات البين أو ضمن دينا فلزمه أو استدان لحاجته إلى الاستدانة ، فهؤلاء يأخذون من الزكاة ما يفي بديونهم ، ومن استدان لاصلاح ذات البين يأخذ من الزكاة ولو كان غنيا .

٧ ـ في سبيل الله :

سبيل الله الطريق الموصل إلى مرضاته . وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو ، وأن سهم سبيل الله يعطي للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة فهؤلاء لهم سهم من الزكاة فيعطونه ولو كانوا من الأغنياء .

وسبيل الله يشمل الاستعداد للحرب بشراء الأسلحة وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة ، ويشمل إعداد الدعاة إلى الاسلام في بلاد الكفر وتجهيزهم بوسائل النقل ووسائل الاعلام وغير ذلك .

ويمكن أن يقام بها مستشفيات أو مدارس في بلاد الكفر بغرض خدمة الدعوة إلى الاسلام .

ولكن لا يصح أن يبني بها في ديار الاسلام مستشفيات أو مدارس يستفيد منها الأغنياء أما إن كانت للفقراء خاصة فلا بأس ، وكذلك لا تبنى بها المساجد أو تشق بها الطرق .

لأن سبيل الله هو الجهاد فلا يقاس عليه ما ليس بمعناه ، ولكن يقاس عليه ما هو بمعناه ، وهو ابلاغ الدعوة إلى الكفار بأي وسيلة مناسبة .

٨ ـ ابن السبيل :

وهو المسافر الذي نفد ماله وأصبح في حاجة إلى مال ينفق منه حتى يصل إليه ماله أو يصل هو إلى بلده .

توزيع الزكاة :

اختلف الفقهاء في توزيع الزكاة على الاصناف الثمانية السابقة فالجمهور على أنه لا يجب توزيعها على الأصناف كلها وأنه يجوز توزيعها على جنس واحد ، وللمزكي أن يعطي بعض الجنس دون بعضه إذ المقصود من الزكاة هو سد الحاجة وهذا يقتضي تقديم أهل الحاجة على غيرهم .

من تحرم عليهم الزكاة :

الأصناف الآتية لا تستحق الزكاة ولا تحل لهم ولا يجزي صرفها اليهم :

١ ـ الكفرة والملاحدة .
٢ ـ آل البيت من بني هاشم وبني المطلب .
٣ ـ الآباء والابناء ويشمل الأجداد والأمهات والجدات وأبناء الأبناء والبنات .
٤ ـ الزوجة لأن نفقتها واجبة على الزوج .

هل يجوز إخراج الزكاة قبل موعدها ؟

لا تجب زكاة المال ، وعروض التجارة ، والماشية ، إلا إذا مضت سنة على ملك النصاب فيها ، وأما الثمار والزروع ، فتجب الزكاة في كل منها عند نضجها وحصادها ، سواء أتم ذلك في شهور ! أم في سنة أم أكثر وقد سبق الكلام عن ذلك .

والأنواع التي لا بد في وجوب الزكاة فيها من تمام الحول .

● هل يجوز لمالك النصاب أن يخرج زكاته الواجبة فيها قبل تمام السنة ؟

فمثلا لو كان آخر شهر ذي الحجة هو تمام السنة على مالك المدخر فهل يجوز لك أن تخرج زكاة هذا المال قبل آخر ذي الحجة ؟

قال الشافعي ، وأبو حنيفة ، وأحمد وبعض التابعين يجوز التعجيل بها قبل مجيء وقتها .

وذهب مالك ، وسفيان الثوري إلى عدم الجواز .

ولكل من الفريقين أدلته التي بني عليها رأيه وهي مذكورة في الكتب المطولة .

ويهمنا أن نضع امامك الرأيين وأنت بالخيار في الأخذ بأحدهما والأولى ألا تخرجها قبل موعدها الا لمصلحة مهمة تستدعي ذلك كأن يوجد محتاجون يصعب عليهم انتظار حلول موعد الزكاة .

هل يجوز إعطاء غير المسلم شيئا من الزكاة ؟

اجمع الأئمة على عدم جواز صرف شيء من الزكاة الواجبة ـ غير زكاة الفطر ـ

إلى غير المسلم ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بقصرها على فقراء المسلمين ، وذلك في حديثه لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن وقال له : (فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) رواه البخاري .

أما زكاة الفطر فقد أجاز أبو حنيفة وحده صرف شيء منها لغير المسلم بينما منع الباقون من الأئمة ذلك ، وأما صدقة التطوع وهي غير الواجبة فجمهور الأئمة يجيز توزيع بعضها على المحتاج غير المسلم ممن بيننا وبينهم صلة وعهد ، باعتبار أن برهم والاحسان اليهم لم يمنعنا الاسلام منه علما بأن دفعها للمسلم أفضل وأكثر ثوابا والأمر في ذلك يرجع إليك وإلى تقديرك للظروف حولك ..

وأهم شيء يجدر بك أن تراعيه هو حاجة أقاربك وجيرانك وأهل بلدك ومن لهم بك صلة ومن هم أشد حاجة من غيرهم .. وكلما كان من تعطيه الزكاة أصلح دينا أو أشد فقرا أو أقرب إليك فهو أفضل .

نقل الزكاة من بلد إلى بلد آخر

قال الأئمة جميعا إن الأصل في زكاة البلد أن تصرف لسد حاجة فقرائها أولا ثم فقراء البلاد المجاورة لهم .

ومنع جمهور الفقهاء نقلها إلى بلاد بعيدة عنك قدروا مسافة بعدها بنحو ثمانين كيلو مترا ! وهي ما يسمونها مسافة القصر أي التي يُقْصِرُ المسافر فيها الصلاة الرباعية ما دام في بلدك محتاجون إليها .

ولكن أجاز أبو حنيفة نقلها إلى أكثر من ذلك ما دام يوجد لك أقارب محتاجون في البلد البعيد أقرب من الموجودين لديك . أو مسلمون أشد حاجة ممن هم قريبون منك أو طالب علم أو مجاهد ونحو ذلك فانهم يُقَدَّمون على غيرهم فتصرف الزكاة لهم كلها أو اغلبها ، والأغلب أفضل حيث يتاح لك أن تصل معهم بعض من حولك في بلدك ممن ينتظرون منك العطاء .

وعلى هذا الرأي يجوز للمسلمين في أي مكان أن يصرفوا زكاتهم كلها أو بعضها للمرابطين على خط النار والمتضررين من آثار العدوان المحتاجين وإلى النازحين واللاجئين لتحسين أحوالهم وتوفير المأوى والطعام والكساء لهم وكذلك لأقاربهم المقيمين في بلاد بعيدة .

هل تجب في مال الصبي زكاة ؟

قال الأئمة ما عدا أبا حنيفة تجب الزكاة في مال الصبي وعلى وليه إخراجها منه ..

وقال أبو حنيفة : لا زكاة في مال الصبي ، ولا يجب على الولي شيء لأن الزكاة عبادة محضة كالصلاة وهي ليست واجبة على الصبي .

والاولى الأخذ بالرأي الأول .. إذ الزكاة (**حق معلوم . للسائل والمحروم**) (المعارج ٢٤ و ٢٥) وهذا الحق ثابت في المال .. ومن ثم يجب على من يتولى تدبير أمور الصبي بالنفقة وتنمية المال وتسديد ما عليه من ديون أن يتولى إخراج الزكاة كذلك .

والأمر في المجنون والسفيه والمحجور عليه كالأمر في الصبي ..

من مات وعليه زكاة

من مات وعليه زكاة وجبت في ماله وتقدم على الورثة ، والوصية . لقوله تعالى في المواريث (**من بعد وصية يوصى بها أو دين**) (النساء آية ١٢) والزكاة دين قائم لله تعالى .

وهذا رأي من عدا الحنفية . أما عند الحنفية فلا يجب إخراجها إلا إن أوصى بها المالك فتكون وصية وتخرج من الثلث .

التهرب من الزكاة

وبعض من لا دين عندهم يحاولون أن يفلتوا من الزكاة ويلجئون إلى حيل شتى ، ويظنون أنهم يتعاملون مع أفراد لا مع الله الذي يعلم ما في الصدور فيتهربون من إخراج الزكاة ، ولكن إذا تهربوا في الدنيا وضنوا بحق الله ، فأين يهربون من الله في الآخرة يوم لا ملجأ منه إلا إليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ..؟

هذا هو الضابط وهو الفرق بين ما يفرضه الله على عباده وما يفرضه العباد على العباد خارجا عن شرع الله .

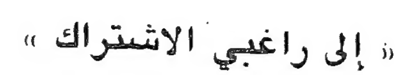
الدعاء للمزكي

يستحب الدعاء للمزكي عند أخذ الزكاة منه لقوله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) (التوبة ١٠٣) ..

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بصدقة قال : (اللهم صَلِّ عليهم) وإن أبا أوفى أتاه بصدقة فقال (اللهم صَلِّ على آل أبي أوفى) رواه أحمد .

وروى النسائي عن وائل بن حجر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل بعث بناقة حسنة في الزكاة ، (اللهم بارك فيه وفي إبله) .

قال الامام الشافعي السنة للامام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول : آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت . وكذلك يسن للمستحق أن يدعو لمن يعطيه الزكاة ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ومن صنع معك معروفا فكافئه عليه فان لم تقدر فادع له .

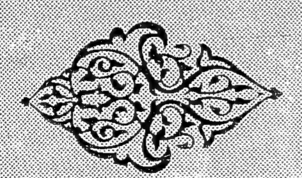


تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان او بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)
الجزائر	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	الشركة التونسية للتوزيع
لبنان	بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص.ب (٤٢٢٨)
الاردن	عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)
السعودية	جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب (٤٧٧)
	الخبر : مكتبة مكة ـ ص.ب (٦٠)
	الرياض : مكتبة مكة ص.ب (٤٥٢)
	المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
مسقط	مكتبة العائلة ـ روى ـ ص.ب : ٣٣٧٦
صنعاء	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص.ب : ١١٠٧
البحرين	دار الهلال
قطر	دار العروبة ص.ب ٦٣٣
ابو ظبي	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص.ب (٦٧٥٨)
دبي	دار الحكمة ص.ب (٢٠٠٧)
الكويت	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة .

محتويات العدد



طباعة مؤسسة دار السياسة ـ الكويت ـ